

الروضة الأنيقة في فوائد الرؤى والتأويل من سورة يوسف

أروضة علمية تجمع لطائف الفوائد القرآنية ودقائق علم التعبير،
من خلال الرؤى الثلاث في سورة يوسف، على منهج يجمع
بين القياس الصحيح والتأويل الرباني المستنير بنور الوحي

تأليف

أبي المنذر محمد بن عبد الحليم بن قزح الوزير في الحواري

عَفَرُ اللَّهِ لَهُ وَلَوَالِدِيهِ وَلِمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ

دار الإمام الشافعي

لطلبة العلم والنشر والتوزيع
البحر - عدن



الرَّوْضُ الْأَنْفُ فَوَائِدُ الرُّؤْيِ وَالتَّأْوِيلِ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ

رَوْضَةٌ عِلْمِيَّةٌ تَجْمَعُ لَطَائِفَ الْفَوَائِدِ الْقُرْآنِيَّةِ وَدَقَائِقَ عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، مِنْ خِلَالِ الرُّؤْيِ
الثَّلَاثِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ ، عَلَى مَنَهِجٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْقِيَاسِ الصَّحِيحِ وَالتَّأْوِيلِ الرَّبَّانِيِّ
الْمُسْتَنِيرِ بِنُورِ الْوَحْيِ

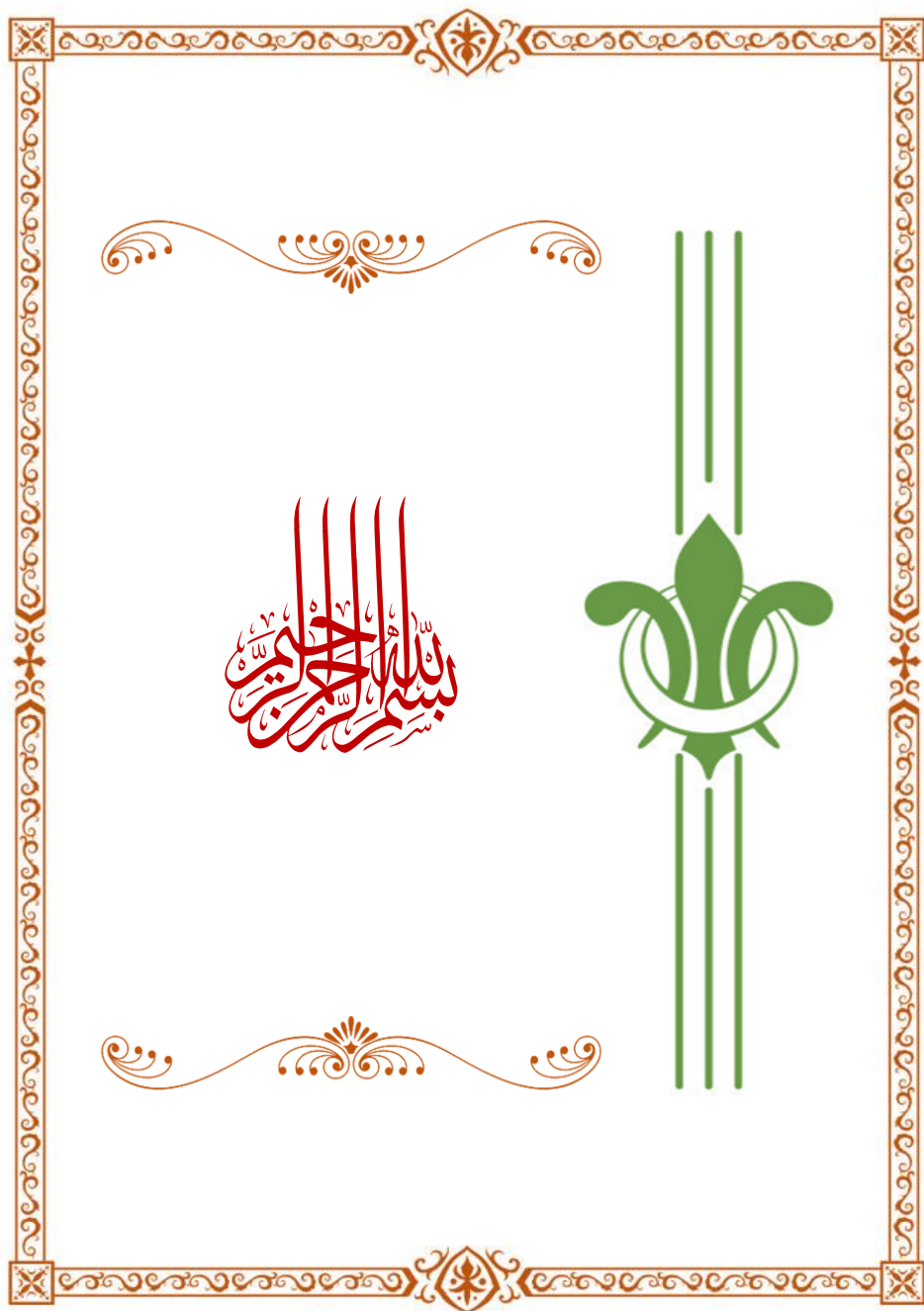
تَأَلَّفَ
الرَّبِّي الْمُنْزِلُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبِيبِ الْحَبِيبَانِي
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى:

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م





مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي جعل الرؤيا الصادقة من نفحات رحمته، وأطلع بها بعض عباده على بوارق من غيب حكيمته، وجعلها سلوى للمؤمنين وبشارةً للمحسنين، وميزاناً يزن به الصادق من الكاذب، والمُلهَم من المتقول، فسبحانه من حكيمٍ عليمٍ لا يُري عبده شيئاً إلا لحكمةٍ بالغةٍ وتدبيرٍ محكمٍ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي كانت رؤياه الصادقة حياً قبل نزول جبريل بستة أشهر، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد كنتُ - بفضل الله وتوفيقه - شرعتُ في تأليف كتابٍ موسومٍ بـ «**اللوئؤ والمرجان في بيان الرؤى المذكورة في القرآن**»، قصدتُ فيه أن أجمع ما تضمنه كتاب الله من إشاراتٍ إلى الرؤى، ذكراً أو إيماءً، وأن أُبين ما فيها من العبر والفوائد، على وجهٍ مختصرٍ موجزٍ يسهل تداوله بين طلاب العلم والناظرين في كتاب الله تعالى.





وكان من ضمن منهجية البحث وخطته أن أذكر ما يُستنبط من فوائد على سبيل العناوين دون بسطٍ ولا شرحٍ، فأقول: الفائدة الأولى كذا، والفائدة الثانية كذا، وهكذا أسير على ذلك النسق في جميع مواضع الرؤى الواردة في القرآن العظيم، وكان قصدي الاختصار كي لا يكون حجم الكتاب كبيراً فتحصل السّامة.

وقد حاولت - ما استطعت - أن أوجز العبارات وأقتصر على أهم الفوائد، وإلا لو أردنا الاستقصاء لما وسعها مجلدات، إذ في كل آية من إشارات الرؤيا محورٌ من المعاني لا يحيط بها إلا من آتاه الله فهمًا في كتابه. حتى إذا بلغت سورة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، تلك السورة العجيبة التي هي بحق سورة الرؤيا والتأويل، وجدت نفسي أمام بحرٍ زاخر، ومعدنٍ نفيسٍ لا يُستقصى.

فكلما نظرتُ في رؤيا يوسف الأولى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ إلى آخر الآيات.

انبثقت لي معانٍ غزيرة، وفوائد جليلة، ولطائف باهرة، وأسرارٌ من الحكم والعبر لا يكاد يحيط بها قلم.

فقلت في نفسي: هذا الموضع وحده يحتاج إلى بسطٍ وتأملٍ وتحريٍ وتفصيلٍ، فشرعتُ أشرح كل فائدة وأستخرج ما يفتح الله به من درر المعاني، فإذا بي - بعد تمام النظر - أجد أنني قد امتلأتُ غنى بما استخرجتُ من آيةٍ واحدة، قبل أن أصل إلى رؤيا السجينين، أو رؤيا



الملك.

ثم لما نظرتُ في الرؤيا الثانية والثالثة، رأيتُهما لا تقلان ثراءً ولا عبرةً، ففي رؤيا السجينين فوائد تربوية ودعوية بديعة، وفي رؤيا الملك إشارات عظيمة، تدل على عمق هذا الباب واتساعه.

ولقد تبين لي - وأنا أقلبُ النظرَ في هذه السورة المباركة - أن سورة يوسف من أكثر سور القرآن امتلاءً بالفوائد والعبر والمعاني الدقيقة، فهي مدرسةٌ في العقيدة والتوحيد، ومنارةٌ في الصبر والرضا والتسليم، وميدانٌ بديعٌ للتعبير والدعوة والتدبير.

فكل آيةٍ منها تفيض حكمةً، وتُنير طريقاً، وتكشف عن لبابٍ من لباب العلم والإيمان.

وقد يكون في بعض الاستنباطات التي ذكرتها ما يرى فيه مجالٌ نظرٍ أو اختلافٌ اجتهدٍ، ولا أزعِم فيها العصمة، وإنما هو جهدٌ بشريٌّ أسأل الله أن ينفع به، فإن أصبتُ فبفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأتُ فمني ومن الشيطان.



منهجية الكتاب

ومن منهجي في هذا الكتاب أني لم أكثر من النقل عن الأقوال والآثار والحديث رجاء الاختصار، واكتفاء بما هو ظاهر الدلالة من الآيات والسياقات، مع الإشارة إلى ما صحَّح من النصوص إن اقتضى المقام، ليكون القارئ على صلة مباشرة بالتأمل القرآني دون تكرار أو إطالة تُخرج عن المقصود.

وقد أفدتُ في بعض المواضع من كتابي «**إتحاف الكرام في فقه الروي والأحلام**» وكذلك من كتابي الآخر «**الجامع الصحيح والضعيف في الروي والأحلام**»^(١)، إذ كانا أساسيين علميين اعتمدت عليهما بفضل الله في بناء هذا المشروع وتأصيل كثير من مسأله.

ومن هنا عزمْتُ بإذن الله على تفسير السورة كاملةً -مستقبلاً- واستخراج ما فيها من الفوائد التربوية والعقدية والدعوية والتعبيرية، حتى تكون هذه الدراسة لبنةً أولى في مشروع علمي جامع، يضمُّ لطائف

(١) وهما كتابان مطبوعان منشوران مؤخراً عن دار الإمام الشافعي في محافظة -عدن- اليمن.



التأملات وفوائد التدبر في كتاب الله العزيز.

وحينئذٍ أيقنتُ أن هذا المقام لا يليق أن يكون فصلًا في كتاب، بل هو كتابٌ قائمٌ بذاته، يجمع هذه الكنوز، ويبرز هذه الجواهر اليوسفية على وجهٍ يليق بجلالها وعِظم نفعها.

ومن هنا وُلد هذا السفر المبارك، الذي سميته -بعد تأمل واستخارة-

«**الرَّوْضُ الْأَنْفُ فِي فَوَائِدِ الرَّؤْيِ وَالْتَّأْوِيلِ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ**».

إشارةً إلى أن ما حواه من المعاني واللطائف هو كالروضة الغناء التي لم تُرَع بعد، غضةً نضرةً لم يُسبق إلى جني أزهارها ولا قطف ثمارها، وما حُقَّ لها إلا أن تُسمَّى روضةً أنفًا.

وقد قصد من هذا التأليف أن يكون ذخيرةً علميةً فريدةً في باب الرؤى القرآنية، يجمع بين التحقيق والتدبر، ويبرز دقائق التعبير التي أودعها الله في قصة يوسف -عليه السلام-، ليكون للمتأملين في القرآن عونًا على الفهم، وللمشتغلين بعلم الرؤيا مرجعًا في التأصيل، وللمحبين للتدبر متعةً علميةً وإيمانيةً لا نظير لها.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يفتح لي ولكم من بركات علمه، وأن يرزقنا حسن النية وصواب العمل، إنه ولي التوفيق.







الباب الأول: الفوائد المستفادة من قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة
يوسف: ٤].

هذه الآية الكريمة هي أول مشهدٍ من مشاهد السورة المباركة، بل هي مفتاح القصة وأصل بنائها، إذ منها ابتداء الوحي إلى يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، ومنها انطلقت وقائع الابتلاء والتمكين، فكانت رؤيا الصغير في أول عمره سبباً في بلوغه ذروة الملك في آخر أمره.

وقد حوت هذه الآية من أسرار البلاغة والإشارات الإيمانية والعبر التربوية ما لا يحيط به عدٌّ، فكل لفظٍ فيها وُضع بحكمة، وكل مشهدٍ أُبرز لغاية، فجمعت بين الرمز والمعنى، والصورة والمغزى، والوعد والوفاء. وفيها من دلائل النبوة، وعجائب القدر، وجمال التعبير القرآني ما يجلّ عن الوصف، فإنها لم تكن مجرد رؤيا، بل كانت وحيًا تمهيدياً، أظهر الله به فضل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، وأشار به إلى ما أعدّ له من رفعةٍ ومكانةٍ واصطفاءٍ.

وقد اشتملت هذه الآية على فوائد عظيمةٍ جليّةٍ ومعانٍ دقيقةٍ من وجوهٍ شتى، سنذكر منها في هذا الباب - بعون الله - جملة من الفوائد



المستنبطة، المستخرجة من ألفاظها وسياقها.

الفائدة الأولى: دلالة الآية على أن نبي الله يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - كان مفسراً للرؤيا

يُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

ثم قوله تعالى عقبها على لسان يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿يَبْنِي لَكَ نَقْصَصَ رُءُوكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

أن يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - كان عالماً بتعبير الرؤى، فقد استنبط من رموزها ومعانيها ما دلّ على رفعة يوسف ومآله العظيم، وأن في الرؤيا إشارةً إلى سيادته على إخوته، ولذلك نهاه عن قصّها عليهم خشية أن يحملهم الحسد على الكيد له.

ففي جمع الكواكب الأحد عشر دلالةً على إخوته، وفي السجود إشارةً إلى الخضوع والتعظيم، وفي ذكر الشمس والقمر ما يرمز إلى أبويه، ففهم يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - أن الرؤيا تشير إلى اجتماعهم جميعاً على يوسف بعد تمكينٍ ورفعةٍ ومقامٍ محمودٍ يؤتیه الله إِيَّاهُ (١).

(١) قال العلامة ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ١٤٧ ط العلمية): وَمِنْ ذَلِكَ تَأْوِيلُ النُّجُومِ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَشْرَافِ؛ لِحُصُولِ هِدَايَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِكُلِّ مِنْهُمَا، وَلَا زَيْفَ الْأَشْرَافِ بَيْنَ النَّاسِ كَارْتِفَاعِ النُّجُومِ. اهـ



ولهذا فإن نصيحة يعقوب لم تكن مجرد حدسٍ أو شعورٍ أبويٍّ، بل كانت عن علمٍ وتأويلٍ وفهمٍ لرموز الرؤيا.

مسألة: قديقول قائل: إن سياق الآية لا يدلّ صراحةً على أن يعقوب كان مفسراً للرؤى، وإنما حكم عليها حكماً عاماً من حيث بشارتها بالخير ووضوح إشارتها إلى الرفعة دون علم بتفصيل التأويل.

والجواب: أن هذا وإن كان ممكناً في بعض الرؤى التي يُدرك فيها الخير إدراكاً فطرياً من حالها، إلا أن خصوصية يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، وكون الرؤيا تضمنت رموزاً محددة - كعدد الكواكب والسجود والشمس والقمر -، تدلّ دلالةً بيّنة على أن يعقوب فسّر لها بعلمٍ وتأملٍ، إذ عرف أن الكواكب ترمز لإخوته، وأن الشمس والقمر هما أبواه، وأن السجود علامة التعظيم الذي سيكون له بعد رفعة عظيمة في مستقبله، ولذلك خصّه بالنصح دون غيره.

فثبت أن يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - كان ذا علمٍ بتعبير الرؤى، وقد ورث ابنه يوسف هذا العلم فزاد عليه بما أفاض الله عليه من علم التأويل والوحي، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

تنبيه على حديث ورد في هذا الصدد:

قد ورد حديث صريح أن يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - كان مفسراً للرؤيا، غير



أنه ضعيف جداً لا تقوم به حجة.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ بَسَنَانُ الْيَهُودِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنْ أَسْمَاءِ النُّجُومِ الَّتِي رَأَاهَا يُوسُفُ تَسْجُدُ لَهُ.

قَالَ: «الْحَرْتَانُ، وَطَارِقُ، وَالذَّيَالُ، وَقَابِيسُ، وَالنَّطْحُ، وَالصَّرُوحُ، وَذُو الْكَنْفَيْنِ، وَذُو الْفَرَعِ، وَالْفَلِيقُ، وَوَنَابُ، وَالْعَمُودَانِ، رَأَاهَا يُوسُفُ تَسْجُدُ لَهُ، فَقَصَّهَا عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ مُتَفَرِّقٌ وَلَعَلَّ اللَّهُ يَجْمَعُهُ بَعْدُ» (١).

في إسناده الحكم بن ظهير الفزاري، قال فيه الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «متروك، رُمي بالرفض».

وقال الذهبي في «الميزان»: «واهٍ جداً، منكر الحديث».

فالإسناد ساقط لا يصح، ولا يُستدل به على أن يعقوب كان مفسراً للرويا، بل الثابت في ذلك ما دل عليه السياق القرآني من فهمه لتأويلها واستنباطه لمعناها من رموزها.

الفائدة الثالثة: أن الرؤيا المنامية ليست على حقيقتها، بل رموز لمعانٍ أخرى.

من أهم ما يُستفاد من رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أن الرؤيا ليست

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٣ / ١٠)، وابن أبي حاتم (١١٣٣٢)، والبيزار كما في «كشف الأستار»، والبيهقي في «دلائل النبوة»، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٧٩ / ١)، من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر به.

❖ -الرَّوْضُ الْأَنْفُ- ❖ ١٤ ❖ -فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالْتَّوِيلِ- ❖

بالضرورة صورةً مطابقةً للواقع المحسوس، بل هي رموزٌ وأمثالٌ يُعبّرُ بها عن معانٍ أخرى تقع في حياة الرائي.

فقد قال تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَّجِدِينَ﴾ (٤).

وهذا المشهد من حيث المعقول مستحيل في الدنيا، إذ لا يمكن اجتماع الشمس والقمر والكواكب جميعاً في موضعٍ واحد، ولا يمكن أن تسجد له وهي أجرام عظيمة في السماء، فدلّ ذلك على أن الرؤيا تعبيرٌ رمزيٌّ، يُراد به معنى آخر وراء الصورة الظاهرة.

وهذا أصلٌ في علم الرؤيا: أن ما يُرى في المنام ليس على حقيقته الحسية دائماً، وإنما يُحمل على المعنى المناسب في التّأويل، ولهذا قال يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بعد تحقق رؤياه: ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

فدلّ على أن الصورة المنامية كانت رمزاً للمعنى تحقق في الواقع. ومن ثم فإن الرؤيا قد تأتي على وجهٍ خارقٍ للعادة، لكنها لا يُقصدُ بها المشهد بعينه، بل الرمز الكامن وراءه، وهو ما يُدركه المعبر الحاذق الذي أكرمه الله بفهم الإشارات، وربط المعاني بالصور.

فالرؤيا مثل ضرب الأمثال، فيها تشبيه وتمثيل، فيُعطى الرائي صورةً تدل على أمرٍ آخر غير ظاهرها.

فكانت رؤيا يوسف مثلاً حياً على هذا الأصل.





الفائدة الرابعة: أن قصر الرؤيا لا يمنع قوتها ووضوح معناها

تُفهم من رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قاعدة دقيقة، وهي «أن الرؤيا القصيرة المرتبة في رموزها قد تكون من أقوى الرؤى دلالةً وأوضحها معنى»، إذ ليست العبرة بطولها ولا بكثرة رموزها، وإنما بترابط معانيها ووضوح مقصدها.

ويظهر لي من حيث التجربة أن الرؤى من حيث طولها على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن تكون طويلة متشعبة التفاصيل والرموز، وهذه كثيرًا ما تختلط فيها الرموز ويحتاج المعبر فيها إلى وقتٍ طويل لتفكيكها، وقد يصعب ضبط معناها.

الحالة الثانية: أن تكون متوسطة الطول، مرتبة الرموز، فهذه غالبًا يكون لها تأويل واضح في الغالب.

الحالة الثالثة: أن تكون قصيرة مرتبة قوية الرموز، فهذه من أقوى أنواع الرؤى وأصدقها، كما في رؤيا يوسف هذه، وكما في أكثر رؤى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التي كانت وجيزة في اللفظ عظيمة الدلالة، فهذه النوعية تُعين المعبر على سرعة التأويل، وتُريحه من كثرة الاستفصال، لأن رموزها واضحة المعنى ظاهرة المقصد.

فالرؤيا الصالحة الكاملة لا تُحتاج إلى كثير بيانٍ، فإنها تنطق بمعناها.



الفائدة الخامسة: أن الرؤيا المرتبة في سياقها أدعى لصحة التواتل

من الدقائق المستفادة من قصة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أن ترتيب سياق الرؤيا كما رآها الرائي شرطاً في سلامة التعبير، فحين قص يوسف رؤياه على أبيه، نقلها بتمامها كما رآها دون زيادة ولا نقصان.

فقال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ



فجاءت رؤياه مرتبة في السياق والرمز.

وهذا الترتيب هو ما مكن أباه يعقوب من إدراك معناها الصحيح، فلو أنه قدّم أو أخر أو غير بعض الرموز لاختل المعنى، وربما لم يصب المعبر وجه الصواب.

فإذا أراد أحد أن يُعبر رؤيا فليقصها كما رآها لا يزيد ولا ينقص، فإن الرؤيا على مثل نسجها، أي على ترتيبها.

وعليه فكلّما كان الرائي أدقّ في نقل الرؤيا كما رآها في المنام، كان المعبر أقدر على تفسيرها تفسيراً يليق بحال الرائي، أما إذا غيّر أو حذف أو أضاف، فالغالب أن يقع الخلل في التعبير ويبعد عن وجهه، فيُظنّ الخطأ من المعبر وهو في الحقيقة من الرائي.

الفائدة السادسة: أن بعض الرؤى القوية لا تحتاج إلى استفصال

من تأمل رؤيا يوسف علم أن بعض الرؤى تأتي واضحة قوية الرموز لا



تحتاج إلى كثير استفصالٍ أو أسئلةٍ عن تفاصيلها، لأن معانيها ظاهرة لمن أوتي علم التعبير.

فالرؤيا القوية تضع بين يدي المعبر مفاتيح واضحة لا لبس فيها، فلا يحتاج أن يسأل الرائي عن زمانها أو حاله أو لون ما رأى أو مكانه، إذ الرمز فيها ناطقٌ بنفسه.

وهذا هو شأن رؤيا يوسف، ورؤى الأنبياء عموماً، إذ تأتيهم الرؤيا بينةً في مقصدها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾ [الصفات: ١٠٢].

فكانت رؤيا إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - واضحةً لا غموض فيها. أما الرؤى الضعيفة أو المختلطة فتحتاج إلى تفصيل واستفصال، لأنها قد تختلط فيها الرموز أو تتعارض الصور، فيحتاج المعبر إلى النظر الدقيق وجمع القرائن حتى يصيب وجهها.

الفائدة السابعة: أن رؤيا الأنبياء وحيٌ وحقٌ لا يجتمل الخطأ، بخلاف رؤى غيرهم.

إن الوحي الذي ينزل على نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يكون على أنواع وصور، ومن تلك الصور: أن يأتيه الوحي عن طريق المنام والرؤيا، فقد جاء عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» (١).

(١) رواه البخاري برقم: (٣)، ومسلم، برقم: (١٦٠).



❖ - الرَّوَضُ الْأَنْفُ - ❖

❖ ١٨ ❖

وفي لفظ أنها قالت: «أَوَّلُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الشُّبُوهِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ، وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ أَنْ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ» (١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتْ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيًا» (٢).
وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: «إِنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصفافات: ١٠٢]» (٣).

وفي البخاري معلقا: وقال عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ - وهو من كبار التابعين -:
«رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصفافات: ١٠٢]».

وعلى ذلك إجماع العلماء، أن رؤى الأنبياء - صلوات الله عليهم -
وحي.

قال ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ
وَحْيٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ - حَاكِيًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا -
: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ
[الصفافات: ١٠٢]

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي، برقم: (٣٦٣٢).

(٢) حديث حسن، رواه الحاكم، برقم: (٣٦١٣)، وابن أبي عاصم في «السنة»، برقم:
(٤٦٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٣٨).



يَعْنِي: مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ فِي مَنَامِكَ، وَهَذَا وَاضِحٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا اهـ (١).
فهذا يدل على أنه كان مقررًا عنده أن هذا وحي من الله تعالى له،
فلذلك بادر إلى تطبيق ما رأى في منامه على ظاهره، وهذا يدل على أن
رؤى الأنبياء وحي.

قال المهلب - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هذا دليل أن رؤيا الأنبياء وحي لا يجوز فيها
الضغث؛ لأن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حكم بصدقها، ولم يشك أنها من عند
الله، فسهل عليه ذبح ابنه والتقرب به إلى الله، وكذلك فعل إسحاق (٢)
حين أعلمه أبوه إبراهيم برؤياه، فسلم لحكم الله ورضي، وانقاد له،
وفوض أمره إلى الله.

فقال: ﴿يَتَأْتِيَ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٢)
[الصفات]

بهذه الآية استدل ابن عباس على أن رؤيا الأنبياء وحي. اهـ (٣)

مسألة أولى: رؤى الأنبياء وحي، فهل هي على ظاهرها؟ أم تحتاج إلى تعبير؟

والجواب - والله الموفق للصواب -: أنها على أقسام:

(١) «الاستذكار»

(٢) اختلف العلماء في الذبيح المذكور في الآية الذي أمر الله إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
بذبحه، القول الأول: وهو مذهب جمهور أهل العلم، منهم عمر بن الخطاب
وابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أن الذبيح هو
إسحاق - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

(٣) «شرح صحيح البخاري لابن بطال».

القسم الأول: منها ما يكون على ظاهره.

القسم الثاني: منها ما يكون غامضاً، ويحتاج إلى تفسير وفك لرموزها.
وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة مشهورة أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
رأى في المنام رؤى فكان منها ما هو على ظاهرها، ومنها ما يحتاج إلى
تفسير وفك لرموزها عند التأويل.

الأمثلة:

مثال أول من الرؤى الظاهرة:

ما جاء، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -:
«أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ،
فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضْهُ» (١).

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «شرحہ علی مسلم» (١٥ / ٢٠٢):
قَالَ الْقَاضِي: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَقَبْلَ تَخْلِيصِ أَحْلَامِهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْأَضْغَاثِ فَمَعْنَاهَا إِنْ كَانَتْ رُؤْيَا حَقٍّ، وَإِنْ
كَانَتْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَلَهَا ثَلَاثَةُ مَعَانٍ:

أحدها: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ تَكُنِ الرُّؤْيَا عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرُهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى

(١) رواه البخاري (٣٨٩٥) ومسلم (٢٤٤١) واللفظ له.



تَعْبِيرٍ وَتَفْسِيرٍ فسيمضيه الله تعالى وَيُنْجِزُهُ، فَالشَّكُّ عَائِدٌ إِلَى أَنَّهَا رُؤْيَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَمْ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَصَرْفٍ عَلَى ظَاهِرِهَا.

الثاني: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الزَّوْجَةُ فِي الدُّنْيَا يُمَضِّهَا اللهُ، فَالشَّكُّ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْجَنَّةِ.

الثالث: أَنَّهُ لَمْ يَشْكُ، وَلَكِنْ أُخْبِرَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَأَتَى بِصُورَةِ الشَّكِّ كَمَا قَالَ أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ يُسَمُّونَهُ تَجَاهُلُ الْعَارِفِ، وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ مَرْجَ الشَّكِّ بِالْيَقِينِ. اهـ

وقال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - في «المفهم» (٦/ ٣٢١):

وقوله: «إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمَضِّهِ» ظاهره الشَّكُّ في صحة هذه الرؤيا، فَإِنَّ كَانَ هَذَا مِنْهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قبل النبوة، فلا إشكال فيه؛ لأنَّ حكمه حكم البشر، وأما إِنْ كَانَ بعد النبوة فهو مشكل، إذ رؤيا الأنبياء وحي كما تقدَّم، والوحي لا يشك فيه.

وقد انفصل عن هذا: بأن قيل: إِنْ شكه لم يكن في صحة أصل الرؤيا، وَإِنْ ذَلِكَ مِنْ اللهِ، وَلَكِنْ فِي كَوْنِ هَذِهِ الرُّؤْيَا عَلَى ظَاهِرِهَا، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ، أَوْ فِي كَوْنِهَا أَمْرًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

وقيل: لم يكن عنده شك في ذلك، بل محققاً له، لكنه أتى به على صورة الشك، وهو غير مراد، كما قال الشاعر:

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ حَلَاحِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ؟

وهذا نوع من أنواع البلاغة معروف عند أهلها يسمى: تجاهل العارف،



❖ - الرَّوْضُ الْأَنْفُ - ❖ ﴿٢٢﴾ ❖ - فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالْتَّوَلَّيْلِ ❖

وقد سُمِّي مزج الشك باليقين، ونحو منه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمُنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

فإنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - لم يشك في شيء من ذلك، لكن أتى به على التقدير لا التحقيق.

وقوله: «فَإِذَا هِيَ أَنْتِ» أي: إنه رآها في النوم كما رآها في اليقظة، فكان المراد بالرؤيا ظاهرها. اهـ

مثال ثانٍ من الرؤى الظاهرة:

رؤيا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - في مرضه أن الوجع الذي أصابه كان بسبب السحر.

فعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ -، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟

جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي. فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ



رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟

قَالَ: مَطْبُوبٌ.

قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟

قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ.

قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ.

قَالَ: وَجُفٌّ طُلَعَتْ ذَكَرٌ.

قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟

قَالَ: فِي بَرٍّ ذِي أَرْوَانَ.

قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،

ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَ أَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ، وَلَكَ أَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ

الشَّيَاطِينِ».

قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟

قَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا،

فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ» (١).

فكانت هذه الرؤيا على ظاهرها، ولا تحتاج إلى تفسير، فهي من قبيل

الوحي المنامي، وقد وقعت كما رآها، وحكت واقعا معاشيا، وأمرًا حادثًا،

وحالا محققا.

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٢٦٨)، ومسلم، برقم: (٢١٨٩).



فالذي سحر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - هو لبيد بن الأعصم وهو من اليهود، وفعلا جاءه الملكان، وقعدا عند رأسه، وسمع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - حديثهما وقولهما أنه مطبوب: أي: مسحور، وفعلا سحر في مشط... الخ.

فكل هذه الرؤيا كانت على ظاهرها.

وفي هذا الحديث من الفوائد:

الفائدة الأولى: أن العبد قد يتلى بالسحر حتى وإن كان صالحا، وهذا ليرفع الله به الدرجات، ويمحص الله به العبد في صبره واحتسابه، وثقته بالله وتوكله عليه.

الفائدة الثانية: أن الرؤيا قد تكون فرجا من الله، يكشف فيها مسببات علاج ذلك المبتلى.

فمثل هذه الرؤيا قد تحصل لغير الأنبياء، وهذا يحصل كثيرا، فكم فرج الله عن أقوام أصابهم السحر، واشتد عليهم البلاء والكرب، واكتشف من خلالها مكان السحر، أو اكتشف من خلالها سببا فيه الشفاء من مرضه، وغير ذلك بسبب رؤيا منامية، ومثل هذا قد عرض علي كثيرا في تفسير الأحلام.

ومن الرؤى الظاهرة

حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ:



«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟»
 قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ:
 «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي
 انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا...» الحديث بطوله (١).

وهو من الرؤى الظاهرة التي لا تحتاج إلى تفسير.

مسألة ثالثة: هل رؤى الأنبياء يخالطها أضغاث أحلام وحديث النفس وما كان من الشيطان؟

الجواب: يستحيل أن يكون كذلك، فإن المقرر بالبراهين الساطعة،
 والأدلة الصحيحة أن رؤى الأنبياء حق وصدق، ووحى، وهي من الله
 تعالى، وهي من قبيل المبشرات، ولم يختلف أحد من أهل الإسلام في
 ذلك، والأدلة معروفة ومبسوطة من الكتاب والسنة، وقد تقدم بعضها.

فمنها: رؤيا إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أنه يذبح ولده وستأتي معنا بإذن الله.

ومنها: ما جاء عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ».

ومنها: رؤيا يوسف وستأتي معنا بإذن الله.

ومنها: ما جاء عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا،
 فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا، فَطَارَا، فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٧).

يَخْرُجَانِ بَعْدِي، أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيَّلِمَةٌ» (١).

الشاهد منه قوله: «فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ...».

ومنها: وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الْصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ [الأنفال]

وستأتي معنا.

مسألة ثالثة: لماذا رؤيا الأنبياء لا يداخلها أضغاث الأحلام ولا ما كان من الشيطان ولا حديث النفس؟

الجواب: قال ابن العربي - في «أحكام القرآن» (٤ / ٣٠) -:
المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصفات]:

[١٠٢]

وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيِي، حَسَبَمَا بَيَّنَّاهُ فِي كُتُبِ الْأُصُولِ وَشَرَحَ الْحَدِيثَ؛
لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ فِي التَّخِيلِ سَبِيلٌ، وَلَا لِلْإِخْتِلَاطِ عَلَيْهِمْ
دَلِيلٌ، وَإِنَّمَا قُلُوبُهُمْ صَافِيَةٌ، وَأَفْكَارُهُمْ صَقِيلَةٌ، فَمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ، وَنَفَثَ بِهِ
الْمَلِكُ فِي رَوْعِهِمْ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَهُوَ حَقٌّ؛ وَلِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْزِلُ فِي قُرْآنٍ يَتَلَى، وَلَكِنْ رَجَوْتُ أَنْ يَرَى
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا. اهـ

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٣٧٣)، ومسلم، برقم: (٢٢٧٤).

الفائدة الثامنة: أن الرؤيا الصادقة قد تكون بشاراً عظيماً لمستقبل بعيد.

فرؤيا يوسف كانت في صغره، ولم يتحقق تأويلها إلا بعد سنين طويلة حين اجتمع بأبويه وإخوته في مصر.

فقال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وفي ذلك بيان أن الرؤيا قد تتأخر سنين، لأن الله يُجري الأمور بمقاديرها، فلا يُقاس تأويلها بعمر أو زمن، بل بقدرٍ مقدورٍ إذا شاء الله وقوعه.

الفائدة التاسعة: أن الرؤيا الصادقة تُربي في القلب الإيمان بوعده الله.

فيوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - ظل على يقينٍ من صدق رؤياه رغم ما لاقى من محن، من الجب إلى السجن، حتى إذا تحققت عِلْمَ أن تأويل الله لا يُخلف.

فقال: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

وهذا يُعَلِّمُ المؤمن الثقة بربه، وأن ما وعده الله به - ولو في رؤيا صادقة - لا بد أن يقع إذا شاء، وإن تأخر زمنه.

الفائدة العاشرة: أن الرؤيا قد تكون سبباً في الرفع والتمكين.

فقد جعل الله رؤيا يوسف بدايةً سَلَّمَهُ إِلَى الْمَلِكِ والعز، إذ كانت أول إشارات الاجتباء، ثم صار بها مفسراً للرؤى في السجن، فكانت سبباً في خروجه وتمكينه في الأرض.



قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة يوسف: ٢١]

فقد جعل الله الرؤيا الصادقة باباً من أبواب الفضل والفتح ليوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

غير أن هذا لا يعني أن يجعل المفسّر أو طالب علم الرؤيا هذا الباب سُلماً للدنيا، أو وسيلةً للتطاول إلى المناصب والجاه، أو مطمعاً للقلوب في أموال الناس ومدحهم، فإن هذا العلم الشريف عبادةً وقربة، لا تجارةً ومكسب.

وقد جاء الوعيد في من جعل العلم وسيلةً للدنيا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

يَعْنِي رِيحَهَا (١)

فالعبرة أن يكون المعبر مخلصاً لله، ناصحاً للخلق، يتبغى ببيان الرؤى وجه الله ونفع عباده، لا أن يجعلها طريقاً لمَدح أو مالٍ أو سلطان.

ولهذا كان يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نموذجاً فريداً في الإخلاص والزهد، لم يطلب الملك لنفسه، ولا سعى إلى الدنيا.

بل قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥٣).



فطلب المنصب لإقامة العدل وحفظ الأمانة، لا لحظّ دنيويّ، فجاءته الدنيا وهي راغمة، ونال الرفعة بعد أن زهد فيها، فصار كما قيل: من أخلص لله أتته الدنيا وهي صاغرة.

الخلاصة

أن الرؤيا قد تكون سبباً في فتح أبواب الخير والتمكين، لكن لا لمن جعلها مطمعاً دنيوياً، بل لمن صدق فيها مع الله وصبر واحتسب. فيوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - لم يطلب الدنيا، وإنما أقبل على الله مخلصاً في دعوته وتأويله، فجاءته الدنيا طائعة بعد إخلاصه وصبره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

الفائدة الحادية عشرة: أن من تمام فضل الله أن يجعل الرؤيا الصالحة من مقدمات

النبوة.

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:

« وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ » (١).
وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :
« إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوءَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيٍّ ».
قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ.

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٣) واللفظ لمسلم.

فَقَالَ: «لَكِنَّ الْمُبَشِّرَاتُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟

قَالَ: «رُؤْيَا الْمُسْلِمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النَّبُوءَةِ» (١).

وفي هذا بيان أن الرؤيا الصادقة من آثار الاصطفاء الإلهي، يُهيئ الله بها عبده لما بعده من المقامات العلية، كما هيأ بها يوسف للنبوة والعلم.

الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا الصادقة من الله، وهي بشرى لعباده المؤمنين.

فعن أبي هريرة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:

«لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ».

قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟

قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» (٢).

فهي منحة ربانية يخصص الله بها من أحب، يثبت بها قلبه ويقوّي بها يقينه، كما ثبت بها قلب يوسف وأبيه.

الفائدة الثالثة عشرة: أن الرؤيا الصادقة قد تُورث الفرح أو الحزن بحسب مضمونها.

فرؤيا يوسف كانت في ظاهرها مبشرة، لكنها في واقعها أثارت حسد إخوته وأدخلت عليه البلاء، فكان فيها امتحان قبل التمكين.

فدلّ ذلك على أن الرؤيا قد تكون ابتلاءً في ثوب البشارة، يختبر الله بها

(١) رواه الترمذي، برقم: (٢٢٧٢) وغيره بسند صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٩٩٠).



عبده، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيَبْتَغِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ٧٠]

الفائدة الرابعة عشرة: أن من الحكمة كتمان الرؤيا عن من يخشى حسده أو بغضه.

قال يعقوب ليوسف: ﴿يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رَأْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وفي هذا أصل في التحفظ من إفشاء النعم قبل تمامها، لأن الحسد باب البلاء.

فاحرص -أيها الرائي- على كتمان ما تراه في منامك من أحلامك الطيبة، وإياك والتحدث لغير ذي لب فقد ربما تصادف في قصها قلبا حاسدا حاقدا، فيجعلك في همٍّ وغمٍّ من سوء تفاؤله، فأنت منهى عن قص الرؤيا إلا لمن يحسن، أو لمن يتفاهل خيرا ممن تظن فيه محبة الخير لك، فافهم هذا جيدا، وفقنا الله وإياك.

وقد جاء في الحديث عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» (١).

والحديث يؤيده قول الله في سورة يوسف: ﴿لَا نَقْصُصُ رَأْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، برقم: (٢٤٥٥)، وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣/ ٤٣٦).

فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا

أي: فيحسدونك، وينصبوا لك العدا.

مسألة: قد يقول قائل: كيف يحسدني، ويحقد عليّ، وهو لا يحسن تفسير

الأحلام؟

والجواب: أن من الرؤى والأحلام ما يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير، بل تكون رموز الرؤيا بينة، ويشعر المستمع عند قصها قوة وضوحها، وقوة مدلولها، أو يكون مشتهراً عند الناس أن من رأى في المنام كذا أن تعبيرها كذا، فيكون حينئذ نصب العدا حسداً من ذاك الذي تقصها عليه، وقد نهينا عن ذلك لهذا السبب.

يقول القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾:-

أي: يحتالون في هلاكك، لِأَنَّ تَأْوِيلَهَا ظَاهِرٌ، فَرَبَّمَا يَحْمِلُهُمُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَصْدِكَ بِسُوءٍ حِينئِذٍ. وَاللَّامُ فِي ﴿لَكَ﴾ تَأْكِيدٌ.

وقال البغوي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

فَعَلِمَ يَعْقُوبُ أَنَّ الْإِخْوَةَ إِذَا سَمِعُوَهَا حَسَدُوهُ فَأَمَرَهُ بِالْكِتْمَانِ، ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ فَيَحْتَالُوا فِي إِهْلَاكِكَ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهَا فَيَحْسُدُونَكَ.

وقال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ لِابْنِهِ يُوسُفَ حِينَ قَصَّ عَلَيْهِ مَا



رَأَى مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا، الَّتِي تَغْيِيرُهَا خُضُوعُ إِخْوَتِهِ لَهُ وَتَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ تَعْظِيمًا زَائِدًا، بِحَيْثُ يَخْرُونَ لَهُ سَاجِدِينَ إِجْلَالًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا فَخَشِي يَعْقُوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، أَنْ يُحَدِّثَ بِهَذَا الْمَنَامِ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ فَيَحْسُدُوهُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَنْغُوا لَهُ الْغَوَائِلَ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ: ﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أَي: يَحْتَالُوا لَكَ حِيلَةً يُرْذُونَكَ فِيهَا. وَلِهَذَا ثَبَتَ السُّنَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ:

«إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلْيُحَدِّثْ بِهِ» اهـ

أَي: مَنْ يُحِبُّ.

وقال الإمام السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه: ﴿يَبْنِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أَي: حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الرَّئِيسَ الشَّرِيفَ عَلَيْهِمْ.

الفائدة الخامسة عشرة: أن الرؤيا الصالحة قد تنبئ عن مجد وشرف مستقبلي للرأي.

فرؤيا يوسف دلّت على سجد أبويه وإخوته له، وهو رمز الرفع والسيادة، وقد وقع ذلك فعلاً حين صار عزيز مصر.

ففيها أن الله قد يُطلع عبده في المنام على بعض قدره المخبأ له، تأنيساً وتشبيهاً لقلبه.



الفائدة السادسة عشرة: أن المفسر الحاذق يربط بين الرموز والمعاني الواقعية.

فقد فسر يعقوب الكواكب بأنها إخوته، والشمس والقمر بأنهما أبواه، وهو من التفسير بالقرائن والمقامات، لا بمجرد الظن. وفي ذلك أن التعبير علم له أصول ولغة رمزية تحتاج إلى فهم شرعي وبصيرة فطرية، لا إلى التخمين.

الفائدة السابعة عشرة: أن التعبير قد يستدل فيه بالأعداد والأشكال كما يستدل بالأسماء والهيئات.

فعدد الكواكب (أحد عشر) رمزٌ لإخوة يوسف الأحد عشر، والاثنى عشر بما فيهم يوسف عدد أبناء يعقوب، فكان العدد مفتاح التفسير. وفي هذا أن الأعداد في الرؤى ليست عبثاً، بل قد تدل على أشخاص أو أزمان أو منازل، بحسب سياقها وقرائنها.

الفائدة الثامنة عشرة: أن الرؤيا الصادقة لا تتناقض مع سنن الله في الأسباب.

فلم تتحقق رؤيا يوسف إلا بعد الأخذ بالأسباب من الصبر والعلم والتدبير في السجن وفي البلاء، فجمعت بين الوعد الإلهي والعمل الإنساني.

وفي هذا تعليم أن الرؤيا لا تُغني عن السعي، بل تُبشِّر وتُحفِّز، وعلى العبد أن يمضي بالأسباب حتى يرى تأويلها واقعاً.



الفائدة التاسعة عشرة: أن الرؤيا لا يفهم تأويلها إلا بعد تمام وقوعها أحياناً.

فيوسف نفسه لم يدرك تأويل رؤياه كاملاً إلا بعد سنين، حين قال:
﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾.

وفيه أن من الحكم الإلهي أن يؤخر علم التأويل حتى تقع الأمور على حقيقتها، لتظهر عظمة تدبير الله.

الفائدة العشرون: أن الرؤيا الصالحة من أعظم وسائل التربية الإيمانية.

فهي تعلّم الرائي الصبر واليقين، وتُغرس في قلبه مراقبة الله وتدبيره في الخفاء.

ورؤيا يوسف كانت مدرسة إيمانية له ولأبيه ولإخوته وللأمة من بعدهم، تعلّم أن العاقبة للمتقين، وأن الله يُمّ نعمته على من صدق معه، وإن خفي وجهها في البداية.

الفائدة الحادية والعشرون: في صفات المعبر وأدب التعبير

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

في هذه الآية الكريمة أصلٌ عظيم في أدب المعبر للرؤيا، وأنه ينبغي أن يكون ناصحاً أميناً، رفيقاً بالرائي، كتوما في السرّ، ذا عقلٍ وحكمةٍ في إبلاغ المعنى.

فإن يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - حين سمع من ابنه يوسف رؤياه العظيمة،



علم بتعبيره أنها تدل على رفعة ومقامٍ مستقبليٍّ له، وأن فيها من جهة أخرى محلَّ ابتلاءٍ قد يُثير حسد إخوته، فاختار أسلوب الحكيم حين قال له: ﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾.

فاكتفى بالنصح دون أن يشرح له تفاصيل الرموز، اتقاءً لما قد يورثه ذلك من خوفٍ أو فخرٍ في نفس الطفل الصغير، فكان تعبيره تربيةً قبل أن يكون بياناً.

ومن هذا يُستفاد أن المعبر إذا دلت الرؤيا على مكروهٍ أو فتنةٍ أو أمرٍ يخشى عاقبته، فالأولى أن يكتفي بالنصيحة العامة دون إفصاح عن تفاصيلها، وأن يُبلِّغها للرأي بلطفٍ وعبارةٍ تفتح الأمل، لا توقعه في الحزن أو الهلع.

فالتعبير ليس تقريراً للغيب، وإنما تأويلٌ راشدٌ يُراعَى فيه المقام والحال والنفوس.

وقد دلَّت السنة النبوية على هذا الأدب الجليل، ففي الحديث عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى ذِي نَاصِحٍ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، وَلْيَتَأَوَّلْ خَيْرًا»

وفي رواية: «لَا تَقْصُوا الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ»^(١)

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «فتح الباري» (١٢ / ٣٦٩):

(١) رواه الترمذي (٢٢٨٠) والدارمي (٢١٤٧) وغيرهما وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٢٣٧).



أما العالم فإنه يؤولها على الخير مهما أمكنه، وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفع الرائي ويعينه عليه، وأما اللبيب العارف بالتأويل فإنه يخبره بما يليق أو يسكت، وأما الحبيب فإن علم خيرًا قاله، وإن جهل أو شك سكت.

فهذا منهج نبويٍّ أصيل: أن المعبر الصادق هو العالم، الناصح، اللبيب، الحبيب، الأمين، يجمع بين العلم والرفق والكتمان. وفي ذلك أيضًا درسٌ عظيم: أن من آداب المعبر أن يكون كريم الخلق، لطيف العبارة، بشوش المحيّا، لا يُفزع الرائي ولا يقرّعه، بل يُهديه إلى الخير ويزرع في قلبه الطمأنينة، كما كان النبي ﷺ إذا سمع رؤيا قال لصاحبها: «رأيت خيرًا»^(١)، وكما قال لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين قصَّ رؤياه: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ»^(٢)، فحول تأويل الرؤيا إلى نصيحةٍ تربويةٍ بليغة.

وهذا هو الأدب الكامل في علم التعبير:

كتمان السرّ فلا يُفشي رؤى الناس.

التأويل بالخير متى أمكن.

الرفق واللين في إيصال المعنى.

النصيحة الحكيمة بدل التهويل أو التخويف.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٨٤٦) وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث

الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها» (٢/ ٤٦٥).

(٢) متفق عليه.



فمن جمع هذه الصفات كان تعبيره رحمةً وشفاءً، ومن فقدوها كان تعبيره جرحاً وأذى، والرؤيا أمانة عظيمة لا يليق بها إلا صدق المفسّر وحكمته.

الفائدة الثانية والعشرون: تحري الرأي لمن يعبر له رؤياه

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]

إشارة إلى أن الرأي ينبغي له أن يتحرى فيمن يعرض عليه رؤياه، فلا يقصّها إلا على من جمع بين العلم، والنصح، والأمانة، وحسن القصد، كما فعل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - حين قصّ رؤياه على أبيه يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - دون غيره.

وإنما اختار يوسف والده مفسراً لرؤياه لأسباب ثلاثة جامعة: أولاً: لأن والده أرحم الناس به بعد الله، وهو ملاذ الأبناء بعد الله ومحل أمانهم في الشدائد، فكان طبيعياً أن يبوح له بما رآه في منامه.

ثانياً: لأنه يحبه ويحب له الخير، وقد أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى هذا المعنى فعن أبي قتادة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:

«الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلْيَتَفَلَّ



ثَلَاثًا وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» (١).

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا» (٢).

فالحبيب يفرح لك ويدعو لك، ولا يزيدك إلا سرورًا، فإن كان عالمًا بالتعبير بشرك بالخير، وإن لم يكن مفسرًا طيب خاطر بك عباراته الطيبة، كقوله: خيرًا رأيت، ما شاء الله، رؤيا طيبة مباركة، فيكون في حديثك معه أنسٌ وتثبيت، لا خوفٌ ولا اضطراب.

أما إذا قصَّ الرائي رؤياه على من لا يعرف حاله، أو على الحسود أو الجاهل، فلا يأمن من شرِّ تفسيرٍ فاسدٍ أو كلمةٍ توقع في نفسه الهمَّ والغمَّ، وربما كان فيها الحسد أو الاستهزاء أو التخويف بلا علم.

ولهذا كان من حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نهى عن تحديث الرؤيا إلا لمن يحبُّك، فهو بابٌ لسدِّ ذرائع الشرِّ، وصيانةٌ لقلب الرائي من الوسواس والأذى.

ففي الحديث حكمةٌ ظاهرة، وهي أن من حدَّث بالرؤيا الحسنة من لا يحبه قد يفسرها له بما لا يحبُّ، إما بغضًا وإما حسدًا، فيقع في نفسه حزنٌ ونكدٌ بسبب ذلك.

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم، برقم: (٢٢٦٢).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٩٨٥).

❖ - الرَّوضُ الْأَنْفُ - ❖ ﴿٤٠﴾ ❖ - فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالتَّأْوِيلِ - ❖

أما وقوعها على غير وجهها الصحيح، فلا يقع بإذن الله إذا كانت التعبيرات باطلة، كما سيأتي في رؤيا الملك حين أخطأ جلساؤه في تأويلها، فقالوا: أضغاث أحلام، فلم يقع ما قالوه، لأن التعبير لم يكن صواباً.

ناش: لأن والده كان عالماً بتعبير الرؤيا، فجاءه يوسف مستفتياً موقناً بأنه سيجد عنده التأويل الحق، وهكذا ينبغي للرأي أن يلتمس من يعرف علم التعبير بعلم وخبرة وأمانة، لا من يتكلم بالظن أو يجرب من غير علم.

فالعجلة في عرض الرؤيا على من هبّ ودبّ تورث الندم، أما الصبر حتى يُعرضها على معبرٍ أمينٍ ناصحٍ بصيرٍ فهو من تمام الأدب والفقه في هذا الباب.

فمن جمع بين صدق الرؤيا، وصلاح النية، وتحري المعبر، رُزق خير التأويل، كما قال يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

الفائدة الثالثة والعشرون: أن الرؤيا الصالحة قد تكون سبباً لتعليم المعبر علم

التعبير

إن من دقائق التأمل في قصة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أن الرؤيا الأولى التي رآها كانت بداية فتح الله عليه في علم التعبير، فكانت مفتاح نبوته وباب اجتباؤه.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:



[٦].

فجعل الله رؤياه الأولى سبباً لتعليم هذا العلم الجليل، علم تعبير الرؤيا وتأويل الأحاديث، حتى صار من أعظم من عُرف به من الأنبياء. فكانت تلك الرؤيا بداية التهيئة الإلهية له ليدرك أن ما يرى في المنام له معنى وراء ظاهره، وأن الرموز تحتاج إلى تفصيل، فغرس الله في قلبه من الفهم ما نما معه حتى بلغ ذروته حين فسّر رؤيا الفتين في السجن، ثم رؤيا الملك.

فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

ثم قال في موضع آخر: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦].

فأفتاهم بالتعبير الدقيق الصحيح الذي أنقذ الله به أمة من المجاعة، فصار علمه بالرؤيا وسيلة للتمكين والنفع العام. ومن هنا نعلم أن الرؤيا الصادقة ليست دائماً للبشارة الشخصية فحسب، بل قد تكون مفتاحاً لعلمٍ ينتفع به الناس، ووسيلةً يفتح الله بها على عباده باباً من الفهم والمعرفة.

فكانت رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أول سببٍ لتعليم الله إياه تأويل الرؤيا، ثم صار ذلك من خصائصه التي امتاز بها في السجن والملك، فنبغ فيها حتى شهد له بها الناس كافة.



❖ - الرَّوضُ الْأَنْفُ - ❖ ٤٢ ❖ - فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالْتَّوَلُّيْلِ ❖

وهذا يدل على أن علم التعبير يُكتسب بالتجربة مع التوفيق الإلهي،
ويُنمَّى بالصلاح والتقوى، كما قال تعالى في نهاية القصة: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي
مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

فيوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - شكر الله على هاتين النعمتين: الملك والعلم،
فهما تاج كرامته في الدنيا والآخرة، وبهما تم تأويل رؤياه الأولى التي
بدأت وهو صغير.

وفي هذا تعليمٌ للعباد أن من رأى رؤيا صالحة فقد فُتح له باب علمٍ
وهدايةٍ إذا شكر الله وسلك سبيل الصالحين.

الفائدة الرابعة والعشرون: فضل علم التعبير ومكانته في الشريعة

إن علم التعبير للرؤى من العلوم الجليلة التي شرف الله بها أنبياءه
وأوليائه، وخصَّ بها من شاء من عباده، لما فيها من معرفة الأسرار الربانية،
والإشارات الغيبية، والتنبيه على الخير والتحذير من الشر.

وقد دلَّ القرآن على شرف هذا العلم في مواضع كثيرة من قصة يوسف
- عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فمدح الله نبيه بهذا الفضل فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

وقال في موضع آخر: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

فعدَّ يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - علم التعبير من أعظم النعم التي امتن الله بها
عليه، وجعلها قرينةً للملك والتمكين، فكما أن الملك نفع دنيوي، فإن



العلم نفع ديني، وكلاهما فضل من الله.
إنَّ علم الرُّؤى علمٌ لطيفٌ عجيب، يبعث في النفس لذة التأمل وامتعة
البحث، وقد وردت في فضله نصوصٌ كثيرة، ويكفيه شرفاً أن الله تعالى
ذكره في كتابه العزيز، وجعل في سورة يوسف أعظم الدلائل والعبر التي
تُبرز مكانة الرؤيا وما تحمله من بشاراتٍ جليّةٍ وتوجيهاتٍ ربانية.

وفي السنة النبوية جاءت أحاديث صحيحة متواترة تؤكد علوَّ شأن
الرؤيا، وتبيّن ما كان لها من أثرٍ كبيرٍ في حياة النبي ﷺ، إذ
كان يعتني بها ويُشّر أصحابه بما يرونه من رؤى صالحة، فازدادت بذلك
مكانتها في قلوب الصحابة والتابعين ومن بعدهم، حتى غدت من العلوم
التي عُني بها أهل الإسلام جيلاً بعد جيل.

وقد أشار العلماء إلى أن علم تعبير الرؤى من العلوم الشرعية التي
نشأت في الإسلام بعد تدوين العلوم، مع أنه معروف في الأمم السابقة
أيضاً، لأن الرؤيا جزءٌ من فطرة الإنسان، لا ينفك عنها البشر في أي زمان،
ولا غنى لهم عن تأويلها وفهم دلالاتها.

وقد بدأت بها النبوة في حقِّ سيد المرسلين كما جاء عن عائشة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ
الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ
الصُّبْحِ» (١)

(١) البخاري (٣)، مسلم (٢٣١).

❖ - الرَّوْضُ الْأَنْفُ - ❖ ﴿٤٤﴾ ❖ - فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالْتَّوَالِي - ❖

وفي هذا دلالة على شرف الرؤيا الصالحة، وأنها كانت مبدأ وحي النبوة، وفيها تأنيس للنبي ﷺ قبل نزول جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

ومما يدل على فضيلة الرؤيا أن الصحابة كانوا شغوفين بها، وهذا مما يدل على أهميتها في زمن النبي - ﷺ - فقد قص الصحابة رؤاهم على النبي - ﷺ - وتفرغ النبي - ﷺ - لسماعها والإنصات لها، والتعبير لمن رآها.

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَيَقْصُودُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السَّنِّ، وَيَبْتِئُ الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكَحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا. الحديث.

وفيه: أنه رأى في المنام رؤيا مبشرة، فبشره النبي - ﷺ - بخيرها (١).

شاهدنا من هذا أن الصحابة كانوا يهتمون بشأن الرؤيا بين يدي النبي - ﷺ -، بل هو نفسه - ﷺ - كان يحثهم

(١) رواه البخاري، برقم: (١١٢٢)، ومسلم، برقم: (٢٤٧٩).



على عرض رؤاهم عليه، وهذا يدل على فضل الرؤيا الصالحة.

فعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا؟» (١).

وعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - تَعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرَبَّمَا قَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟».

فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ (٢).

الفائدة الخامسة والعشرون: أدب الراي مع المعبر في الاكتفاء بالتعبير دون التكلف في السؤال عن رموزه

فيها أن من الأدب الرفيع أن يكتفي الراي بتعبير المعبر لرؤياه، ولا يُثقل عليه بالسؤال عن كيفية تأويله لكل رمز فيها، ولا يُطالبه بتفصيل وجوه الاستنباط في كل جزء من المنام، فإن ذلك مما ينافي أدب الاستفتاء ويقدر في مقام الهيبة للعلم وأهله.

فالمعبر - وخاصة إذا كان من أهل العلم والخبرة - لا يتكلم بالظن أو

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٢٧٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، برقم: (١٢٣٨٥)، وبرقم: (١٣٦٩٨) بإسناد صحيح.

التخمين، وإنما يبنى تعبيره على أصولٍ وقواعدٍ مستمدةٍ من القرآن والسنة واللغة والمعهود في الأمثال والقرائن، وهذه الأصول قد لا يُدرکها عامة الناس لو فُصِّلَتْ لهم.

ولهذا كان من الحكمة أن يُسَلِّمَ الرائي للمعبر في تأويله، ما دام قد عرف عنه الديانة والأمانة وحسن الظن بالله.

وقد دَلَّتْ سيرة الأنبياء على هذا الأدب، فإن نبي الله يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قصَّ رؤياه على والده يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ولم يسأله عن كيفية فهمه وتأويله لها، بل تلقى تفسيره بالقبول، وامتلئ نصيحته دون استفسارٍ أو اعتراض وكذلك رؤيا السجينين ورؤيا الملك.

وكذلك في سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإن الصحابة الكرام كانوا يعرضون رؤاهم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيفسرها لهم، ولا يروى أن أحداً منهم قال: يا رسول الله، كيف فسرتها؟ أو بأي وجه حملت هذا الرمز على ذاك المعنى؟ بل كان أديهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقتضي التسليم والإذعان لحكمه، وهو أدب العلم والإيمان.

ومن تأمل آثار السلف وجد أنهم على نفس النهج. ولهذا يُستحب للرائي إذا بُشِّرَ بخير أن يحمد الله ويكفَّ عن التكلف بالسؤال عن تفاصيل التأويل، إلا إن كان قصده التعلم أو إزالة لبسٍ شرعي، فيكون ذلك برفقٍ وأدبٍ دون إلحاحٍ أو مراجعةٍ.

فالإكثار من الأسئلة في هذا الباب يُتعب المعبر، وربما يوقعه في ما لا



يليق من التفصيل الذي لا طائل تحته، فيملّ منه أو يُحرم تعبيره.
فليتأدب الرائي ويكتفي بالبيان المجمل الذي يُحقق له النفع، ويوقن
أن العلم في التعبير توفيقٌ من الله، لا يُنال بكثرة الجدل ولا بطول السؤال.

الفائدة السادسة والعشرون: النهي عن التحدث بالرؤيا لمن لا يُحسن، هل هو نهْي

تَعْرِيم أم نهْي تنزيه؟

النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وفي الأحاديث النبوية مثل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَقْصُوا الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَىٰ عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ» (١)

ليس نهياً على وجه واحد، بل تفصيله بحسب حال الرائي ومن تُقص عليه الرؤيا.

فإن كان الرائي سيقص رؤياه على محبٍّ ناصح أمين، لا يتجرأ على تأويلها بجهل، ولا يتكلم فيها إلا بخير، أو كان قصده أن يدلّه على مفسرٍ ثقةٍ تعرضها عليه، فلا إثم عليه في ذلك، بل هو مأجور مأذون، لأنه سلك سبيل الأدب الشرعي، واحتاط لنفسه من الزلل.

أما إن قصّها على من لا يحسن التأويل، أو على من يتسرع بالتفسير بغير علم، ويخوض في تعبيرها ظناً وتخربصاً، أو يعبث بها مزاحاً وسخرية،

(١) رواه الترمذي (٢٢٨٠) والدارمي (٢١٤٧) وغيرهما وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١/ ٢٣٧).

فإن ذلك يدخل في النهي التحريمي، لأن النبي ﷺ نهى عن هذا، ولما فيه من المفساد العظيمة.

ومن أعظم هذه المفساد أن المعبر الجاهل قد يعبرها بسوء فيحزن الرائي ويغتم، أو يُوقعه في الوهم والخوف والقلق، وربما كان تفسيره سبباً في شؤم نفسي على الرائي، أو في إساءة ظنه بالله تعالى.

ولهذا جاء عن أبي رزين العقيلي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:

«الرُّؤْيَا مُعَلَّقَةٌ بِرَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا صَاحِبُهَا، فَإِذَا حَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ».

وفي لفظ: «الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ سَقَطَتْ».

وفي لفظ: «عِلْمُ الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَيْرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِنْ عُبِّرَتْ وَقَعَتْ» (١).

الحديث الثاني: عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -:

«إِنَّ الرُّؤْيَا تَقَعُ عَلَى مَا تُعَبَّرُ، وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ رَفَعَ رِجْلَهُ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ مَتَى يَضَعُهَا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ رُؤْيَا، فَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا، أَوْ عَالِمًا»

(١) هذا الحديث يصححه العلامة الألباني، رواه الإمام أحمد، برقم: (١٦١٨٢)، وأبو داود، برقم: (٥٠٢٠)، والترمذي، برقم: (٢٢٧٨)، وابن ماجه، برقم: (٣٩١٤)، والحاكم، برقم: (٨١٧٥)، وغيرهم، وفيه: وكيع بن حُدس، وقيل: عدس مجهول، ولم يأت إلا من طريقه بكل هذه الألفاظ.



(١)(٢).

ومعناه أن الرؤيا تقع على ما تعبر بشرط أن يكون التعبير صحيحا موافقا لأدلة قواعد تفسير الأحلام ومستندا لأدلة علم تأويل رؤى المنام، وقوله: «وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ رَفَعَ رِجْلَهُ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ مَتَى يَضَعُهَا»، أي: متى جاء التفسير الحقيقي الصحيح لتلك الرؤيا فحينئذ وقع التأويل الذي فسرته وكان وفق الحقيقة.

قال ابن قتيبة - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٨٤) - :
وَكَذَلِكَ الرُّؤْيَا عَلَى رَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، يُرَادُ أَنَّهَا تَجُولُ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى تُعَبَّرَ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ، وَلَمْ يُرَدْ أَنْ كُلَّ مَنْ عَبَّرَهَا مِنَ النَّاسِ وَقَعَتْ كَمَا عَبَّرَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْعَالِمَ بِهَا، الْمُصِيبَ الْمُوَفَّقَ.
وَكَيْفَ يَكُونُ الْجَاهِلُ الْمُخْطِئُ فِي عِبَارَتِهَا، لَهَا عَابِرًا، وَهُوَ لَمْ يُصَبِّ وَلَمْ يُقَارَبْ؟ وَإِنَّمَا يَكُونُ عَابِرًا لَهَا، إِذَا أَصَابَ.

يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، يريد: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ عِبَارَتَهَا، وَلَا أَرَادَ أَنْ كُلَّ رُؤْيَا تُعَبَّرَ وَتَتَأَوَّلَ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، فَمِنْهَا مَا يَكُونُ عَنْ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ عَنْ

(١) رواه الحاكم في «مستدركه»، برقم: (٨١٧٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقد اختلف في رفعه وإرساله، والصحيح أنه مرفوع صحيح، وهو على شرط البخاري - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

(٢) وحديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صحيح، ولا مانع أن يكون شاهدا لأصل حديث أبي رزين الذي قبله، وقد بينت ذلك بتوسع في «الجامع الصحيح».



حَدِيثِ النَّفْسِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ.
وَإِنَّمَا تَكُونُ الصَّحِيحَةُ، الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْمَلِكُ مَلِكُ الرُّوْيَا عَنْ نُسخَةِ أُمِّ
الْكِتَابِ، فِي الْحِينِ بَعْدَ الْحِينِ...، وَهَذِهِ الصَّحِيحَةُ هِيَ الَّتِي تَجُولُ حَتَّى
يُعْبَرَهَا الْعَالِمُ بِالْقِيَاسِ الْحَافِظُ لِلْأُصُولِ، الْمُؤَفَّقُ لِلصَّوَابِ، فَإِذَا عَبَرَهَا
وَقَعَتْ كَمَا عَبَرَ. اهـ

وقال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «كشف المشكل من حديث
الصحيحين» (٢/ ١٤٣):

وَلَمْ يرد بقوله: «فَإِذَا عَبَرَتْ وَقَعَتْ»: أَنَّ كُلَّ مَنْ عَبَرَهَا وَقَعَتْ، وَإِنَّمَا
أَرَادَ بِذَلِكَ الْعَالِمُ بِهَا الْمُصِيبُ الْمُؤَفَّقُ، لَا الْجَاهِلُ، وَلَا أَرَادَ أَنَّ كُلَّ رُؤْيَا
تَعْبَرُ، لِأَنَّ أَكْثَرَهَا أَضْغَاثٌ. اهـ

مسألة: هل من لم يفسر رؤياه وأحجم عن قصها هل يقع تفسيرها؟

الجواب: إن كان التفسير خيرا ومبشرا فنعم بإذن الله يقع تفسيرها،
ولاسيما مع سؤال العبد ربَّه الخير، وتيسير تحقيقه، وقرب تأويله، وهذا
من كرم الله وفضله وعطائه سبحانه.

وأما إن كان شرا أو نذارة فإن هذا من رحمة الله أنه ينبه عبده لكي
يجتهد بالعمل بأسباب دفعه، ومن أعظمها الدعاء، فإنه يرد ذلك بإذن الله،
ومما يشعره أنها نذارة وغير ذلك قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - : «لَا
يُرَدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ» (١).

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ١٦٩)، من حديث

وأما قول نبي الله يوسف بعد تفسيره لرؤيا الرجلين المسجونين: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف] فمعناه: هذا تفسير ما سألتكم عنه فقد أجبتكم في تفسيره، وقضيت لكما ما طلبتما من التأويل لما رأيتما.

تنبيه:

لم يأت دليل أن الرجلين المسجونين قالوا ليوسف بعد أن قال لهما: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف]، لم نر في المنام شيئا، وأنهما كذبا في ادعائهما أنهما لم يريا في مناهما.

والخلاصة

أنه لما كان التعبير الخاطئ مؤثرا في نفس الرائي، وربما جرّ عليه البلاء والهم، كان النهي في حقه نهى تحريم إذا ترتب عليه الضرر أو الوقوع في الشر، لأن الشريعة جاءت بسدّ الذرائع. وهذا هو ما أشار إليه نبي الله يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - حين قال لولده يوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾.

إذ خشي عليه الكيد والضرر، فأمره بالكتمان. وفي هذا توجيه نبويّ وسلفيّ كريم: أن من آداب الرؤيا ألا تُقص إلا على من يحسنها، ويُرجى نُصحه، ويؤمن شره، فإن من تجاوز ذلك وقع

سلمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وهو حديث حسن بشواهد، وقد حسنه العلامة الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٣٦).



في الخطر، وربما ذاق غمًا وحزنًا كان في غنى عنه لو كتمها كما أمر الشرع.

**الفائدة السابعة والعشرون: أن الرؤيا قد تكون سببًا للفتنة إذا أسيء التعامل معها أو
فُسرَت بغير علم**

في هذه القصة العظيمة من سورة يوسف دلالة بديعة على أن الرؤيا الصالحة قد تكون من أعظم أسباب الخير إن أُحسن التعامل معها، وقد تكون سببًا للبلاء والفتنة إن أسيء التعامل بها أو أظهرت لغير موضعها.

فرؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - كانت رؤيا صدقٍ وبشارة رفعٍ ومنزلةٍ سامية، لكنها - لو أنه قصَّها على إخوته كما حذرَّه أبوه - لتحولت إلى فتنةٍ عظيمةٍ بسبب الحسد والبغضاء التي في نفوسهم، ولذلك قال له والده نبي الله يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿يَبْنَى لَا نَقْصُصَ رُءُوكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وفي هذا تنبيه عظيم إلى أن الرؤى ليست كلها تُعلن، وإن كانت حقًّا؛ فربَّ كلمةٍ من الرائي أو إظهارٍ لرؤياه أمام من لا يؤمن شرَّه تُثير حقدًا في الصدور وتفتح باب شرٍّ لا يُغلق.

فكم من نعمةٍ أظهرت فحُسدت، وكم من سرٍّ أذيع فابتلي صاحبه، فالكتمان باب السلامة.

وقد جاءت النصوص الشرعية تؤكد هذا المعنى، فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قال:

«اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ



مَحْسُودٌ (١).

فكيف إذا كانت تلك النعمة رؤيا مبشرة برفعة أو رزق أو فضل؟ فإن الشيطان لا يزال يُحرِّكُ بها صدور الحاسدين، ويزين لهم الكيد والعداوة، كما فعل بإخوة يوسف لما بلغهم شأنه.

ومن تأمل الحال علم أن الرؤيا قد تكون امتحاناً لصاحبها، فإن شكر الله على ما بَشَّرَ به وسترها، كانت نعمةً عليه ورفعة، وإن أذاعها بغير روية أو ألقاها في آذان الحاسدين، صارت عليه بلاءً وابتلاءً.

وهكذا تتجلى حكمة الله في قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[يوسف: ٥].

فهو يستغل كل فرصة ليقلب القلب الخير شرًّا، والنعمة نقمةً، والرؤيا الصالحة فتنةً، إن لم يتحلَّ صاحبها بالحكمة والستر.

فالواجب على المؤمن أن يكتُم رؤياه حتى يراها من هو ناصح له أمينٌ، أو حتى تتحقق على وجهها، فكم من رؤيا صادقة صارت فتنةً لصاحبها حين أذاعها، وكم من بشارة صارت بلاءً حين أُسيء عرضها أو فسرها الجاهلون.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، برقم: (٢٤٥٥)، وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٣/ ٤٣٦).

الفائدة الثامنة والعشرون: أن المفسر للرؤيا يحمل الرؤيا على محلها الصحيح، ولا يتعجل في كشف العدو أو تعيينه

فيها أن المفسر للرؤيا مطالبٌ بالتحري والورع والعدل في تأويله، فلا يجوز له أن يتبع العاطفة أو الهوى، ولا أن يصرِّح بتسمية عدوٍّ أو حاسدٍ أو متآمرٍ ظهر له من رموز الرؤيا إلا بضوابط دقيقة تحفظ المصلحة وتدرأ المفسدة.

فقد يرى المعبر في رؤيا الرائي دلائل تشير إلى أن قريباً أو صديقاً أو أحد معارفه يؤذيه أو يدبر له شراً، فيحمله ذلك على الحذر في تعبيره، فلا يُسمِّي أحداً بعينه، بل يعبر بالعموم، كأن يقول: «يصرف الله عنك شرَّ قريبٍ لك»، أو «احذر من مكر من حولك، فالله حافظك».

فهذا أليق بالحكمة وأقرب للسلامة، خاصة إذا خشي من أن يؤدي التصريح إلى الفتنة أو القطيعة.

وهذا لا يكون إلا بشروطٍ ثلاثة:

الأول: أن يثق المفسر بصدق الرؤيا وصحة تأويلها، وأن تكون دلالتها قوية واضحة لا لبس فيها.

الثاني: أن يكون المفسر عارفاً بحال الرائي أو مستفصلاً عنه، فيسأله قبل التأويل: هل بينك وبين قريبٍ خصومة؟ أو هل تشعر أن أحداً يؤذيك؟ فإن وافق الحال ما دلت عليه الرؤيا، تأكد التفسير.

الثالث: أن لا يترتب على التصريح فتنة أو ضرر، فإن الرائي إن كان





موسوسًا أو سريع التأثر، فربما حمل تفسير المفسر على محمل الشك، وبنى عليه تصرفات مؤذية لنفسه أو لغيره، فيفسد أكثر مما يصلح.

ومن دقائق الحكمة أن نبي الله يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - توفرت فيه هذه الشروط الثلاثة، فكان ناصحًا حكيمًا حين قال لابنه يوسف: ﴿يَبْنَى لَا نَقْصُصَ رِءَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

فهو لم يصرح بعداوة إخوته، لكنه حذر بلطفٍ وستر، فجمع بين النصيحة والرفق، وحفظ قلب ولده من القلق والريبة.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يدل على جواز الإخبار بالعدو إذا دلت عليه الرؤيا بوضوح لا يحتمل التأويل، كما جاء عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:

«لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لِيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ».

فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوجِي إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَانْفُخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوْلَتْهُمَا كَذَّابَيْنِ



يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعُنْسِيُّ، وَالْآخَرُ مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَّابِ صَاحِبَ
الْيَمَامَةِ» (١).

وكذلك ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

«إِنِّي أُرِيتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ بَنِي الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ يَنْزُونَ عَلَى
مِئْبَرِي، كَمَا تَنْزُو الْقِرَدَةُ»

قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى
تُوفِّيَ (٢).

فهذان الحديثان دليلان على جواز تسمية من دلت عليه الرؤيا بوضوح
لا لبس فيه، مع أمن الفتنة، لأن المصلحة حينئذٍ راجحة، والتحذير فيه نفع
للأمة.

أما في غير ذلك من الأحوال، فالحكمة أن يُجمل المعبر في القول،
ويستر، ويكتفي بالتوجيه والنصح، كما فعل يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام -، وكما
كان منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في تعبير الرؤى، فإنه كان يعبر بالخير،
ويشير بالتحذير دون إيقاع فتنة أو ريبة بين الناس.

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم: (٣٦٢١)، ومسلم في «صحيحه»، برقم:
(٢٢٧٤).

(٢) حديث حسن، رواه الحاكم في «مستدركه»، برقم: (٨٤٨١)، وصححه العلامة
الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، برقم: (٣٩٤٠).





الفائدة التاسعة والعشرون: أن المفسر قد يُلهمه الله التأويل الصحيح بلا تكاف،

فالتعبير علم وهبة ربانية

فيها أن تعبير الرؤيا علمٌ إلهاميٌّ ربانيٌّ، يُورثه الله من شاء من عباده من غير تكلفٍ ولا تدربٍ مجرد، بل هو نورٌ يقذفه الله في القلب فيفهم به المعاني الخفية وراء الرموز، كما قال سبحانه في شأن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

فالعلم بتأويل الأحلام لم يكن صناعة عقلية محضة، وإنما إلهامٌ إلهيٌّ وفتحٌ ربانيٌّ، أكرم الله به أنبياءه وأوليائه وعباده الصالحين.

وقد دلّ على هذا أيضًا قوله تعالى في وصف يوسف بعد خروجه من السجن: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عُلِّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

فجعل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هذا العلم تعليمًا من الله لا من البشر، واعترافًا بأن الفهم في التعبير ليس نتاج الذكاء وحده، بل هو توفيقٌ من الله وفتحٌ في البصيرة.

فَعَلِمَ التَّعْبِيرَ مِنْ عِلْمِ الْإِلْهَامِ، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ عِلْمِ الْاِكْتِسَابِ، فَقَدْ يُعْطَى الْعَبْدُ الْفَهْمَ فِي الْمَنَامِ كَمَا يُعْطَاهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا كَانَ تَأْوِيلُ يُوسُفَ حَقًّا، لِأَنَّهُ وَحِيٌّ مِنَ اللَّهِ.

ولهذا ترى المفسر الملهم قد يُصيب في تعبيره بلا تردّدٍ ولا طول تأملٍ،
وكان المعنى يلقي في قلبه إلقاءً، فإذا فُسّرت الرؤيا كما أوّلها، وقعت على



وجهها.

ومن دقائق الحكمة أن يعقوب ويوسف عليهما السلام اشتركا في هذا الإلهام؛ فالأول أوتي الحكمة في التعبير كما تبين من قوله: ﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾.

والثاني أكرمه الله بعلم التعبير الكامل، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢].

فهذا العلم - وإن كان له قواعد وأمثال واستقراء - إلا أن أصله هبة من الله يُلهم بها من طهرت سريرته واستقامت فطرته فمن صفا قلبه صدق تعبيره.

مسألة هل تعبير الأحلام من قبيل الإلهام وهل يمكن أن يكون بغير مستند؟

الإلهام ثابت بالكتاب والسنة، وهو مسألة متفق عليها بين أهل السنة، وكلهم متفقون على أنه قد يُلهم الله العبد التوفيق والسداد في أموره، ويطلعه ويقذف في قلبه خفايا بعض الأمور.

ومن أصرح ما يُستدل به في هذه المسألة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» (١).

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «فتح الباري» (٧/ ٥٠):

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٤٦٩) ومسلم عن عائشة (٢٣٩٨)



قَوْلُهُ: «مُحَدَّثُونَ» بَفَتْحِ الدَّالِ جَمْعُ مُحَدَّثٍ، وَاخْتِلَفَ فِي تَأْوِيلِهِ: فَقِيلَ: مُلْهِمٌ، قَالَهُ الْأَكْثَرُ، قَالُوا: الْمُحَدَّثُ بِالْفَتْحِ هُوَ الرَّجُلُ الصَّادِقُ الظَّنُّ، وَهُوَ مَنْ أُلْقِيَ فِي رُوعِهِ شَيْءٌ مِنْ قَبْلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَيَكُونُ كَالَّذِي حَدَّثَهُ غَيْرُهُ بِهِ».

ومن بابيه ما جاء عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -:

«نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» (١).

قال المناوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «فيض القدير» (٢/ ٤٨٠):

«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ» أي: كأنها تُركب أَلْسِنَتَهَا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، «بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» لأن مادة الطهارة إذا غلبت في شخص واستحكمت صار مظهرًا للأفعال الجميلة...».

فالإلهام إذن قذفُ الحق في القلب، وهو نوع من الوحي غير التشريعي، وقد يختص الله به بعض عباده الصالحين.

قال ابن منظور: «الإلهام أن يُلقى الله في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده».

والإلهام على حالين:

أحدهما: إلهام الدلالة والتوفيق، كما في قوله تعالى عن أم موسى:

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (١٤٠١) وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤/ ٢٦٨) برقم (١٦٩٤).



﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

فهذا وحي دلالة وهداية.

وعلى هذا يحمل الإلهام في باب تفسير الأحلام، فهو توفيق إلهي للمفسر لمعرفة القياس الصحيح والدلالة المناسبة من القواعد المستنبطة من القرآن والسنة ولغة العرب، فيستنبط بها التأويل الصحيح.

وعلاوة المفسر المُلهم أنه إذا سُئِلَ عن وجه تفسيره بيّنه بدليله، وشرح الرموز التي اعتمد عليها في التأويل، فهذا هو الإلهام الصحيح، أي الهداية لمعرفة الصواب في التفسير.

أما من فسر بلا علم ولا دليل، وقال: «قذف الله في قلبي التفسير»، ولا يدري كيف ولا على أي أصل بُني تفسيره، فهذا ليس من الإلهام، بل أحد أمرين:

إما أنه تكلف وكذب في التفسير، وإما أنه يستعين بالجن فيلقنونه ما يقول، وهو من الاستعانة المحرمة.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - في «منهاج السنة» (٦٩/٨):

لم يكن يجوز لعمر أن يُفتي ولا أن يقضي بمجرد ما يُلقى في قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإن وافقه قبله، وإن خالفه رده.

فليس معنى الإلهام أن يُقذف التفسير في القلب بلا أصل، بل أن يُلهم



المفسر وجه الصواب بعد الاجتهاد والتفكر.

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - في «مدارج السالكين» (١ / ٧٢):

«الإلهام الصحيح لا يخرق سترًا، ولا يجاوز حدًا، ولا يخطئ أبدًا». وعليه؛ فتعبير الأحلام ليس من الغيب المطلق، بل من باب الظن الغالب والتوفيق، قال الإمام الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - في «موسوعة العقيدة» (٣ / ٨٨٦):

«ابن سيرين وأمثاله ممن يُوهبون علم تأويل الرؤيا فذلك ليس من باب الاطلاع على الغيب، وإنما هو الظن، والظن قد يصيب وقد يخطئ». فهو علم وهبة ربانية، يوفق الله به من شاء من عباده المؤمنين، كما قال تعالى عن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

فالإخلاصة:

أن تعبیر الأحلام علمٌ مستند إلى أصولٍ شرعيةٍ ولسانية، وهبةٌ ربانيةٌ يُلهم الله بها عبده المفسر التوفيق للصواب بلا تكلف، لكنها لا تخرجه عن كونه اجتهادًا بشريًا لا يُبنى عليه حكم شرعي، ولا يُنسب إلى الغيب، والله أعلم.

فائدة في معنى الفراسة في تفسير الأحلام:

تعريف الفراسة - بالكسر -:



لغة: اسم من قولك: تفرست في فلان الخير، وهو: الإدراك والاطلاع والتجلي على ما في الضمائر والبواطن.

واصطلاحاً: قال ابن الأثير - رَحِمَهُ اللَّهُ في «النهاية» -:

وهو على معنيين:

أحدهما: وَهُوَ مَا يُوقِعُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ، فَيَعْلَمُونَ أَحْوَالَ بَعْضِ النَّاسِ بِنَوْعٍ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَإِصَابَةِ الظَّنِّ وَالْحَدْسِ.

والثاني: نَوْعٌ يُتَعَلَّمُ بِالذَّلَالِ وَالْتَّجَارِبِ وَالْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ، فَتُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ النَّاسِ.

قلت: والفراصة ثابتة في الشرع، ومن أدلة ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ [الحجر] أي: المتفرسين الذين يفهمون حقائق الأمور، ويدركون معانيها، ويتفكرون في مدلولها، وقد فسره بالمتفرسين الناظرين: ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وتلميذه مجاهد بن جبر - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -:

«إِنَّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ» ^(١).

قال المناوي - رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٢/ ٦٠٥) -:

«إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ» أي أحوالهم وضمائرهم، «بِالتَّوَسُّمِ»: أي

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، برقم: (٢٩٣٥)، وحسنه العلامة الألباني في

«السلسلة الصحيحة» (٤/ ٢٦٧).



التفرس، فجاد عليهم بكشف الغطاء عن قلوبهم، فأبصروا بها بواطن الناس، واطلعوا على ضمائرهم، وأما من شغل بنفسه ودواهيها فليس من أهل هذا الباب، بل فراسته خدعت نفسه له حتى تدسه في التراب. اهـ

فالفراصة شأنها عظيم، إذا كان صاحبها من أهل الصلاح والورع والخير، وهي في باب تفسير الأحلام ركنٌ متين يعتمد عليه المعبر في تنزيل التأويلات على الناس كلٌّ بحسب حاله، فإن المفسر إذا كان ذا فراصة صادقة، رزقه الله ذكاءً وفهمًا قلَّ أن يخطئ معه في تعبير أي رؤيا تُعرض عليه.

فالفراصة نورٌ يقذفه الله في القلب، تكشف له خفايا الأمور وتفتح له مغاليق المعاني، فيدرك من مدلولات الرؤى ما يخفى على غيره.

ولذا كان اكتساب الفراصة وتزكية النفس شرطًا مهمًّا لإصابة الصواب في التأويل.

واعلم - أيها المتعلم لهذا الفن - أن ارتباط تفسير الأحلام بالفراصة أصلٌ عظيم من أصول هذا العلم، فمن أوتي الفراصة الصادقة، أوتي إدراكًا وتمييزًا عجيبًا في تفسير رؤى الناس، وألهمه الله التوفيق والسداد في ذلك.

فمن رزقه الله فراصةً نادرة، فقد حاز على نصف هذا العلم - بل وأكثر - لأن الفراصة تبصره بحال الرائي وسره، فتكون له كالمرآة في تنزيل المعاني على أحوال النفوس.

فعليك - أيها الطالب لهذا الفن الجليل - أن تكون عالي الهمة في



اكتساب الفراسة، ولن تنالها إلا بصفاء القلب وطهارة الباطن، فكلما تخلصت من الذنوب والمعاصي، صفا بصرك الباطن، وصدق حدسك، وأصاب ظنك، كما قال بعض السلف: «من عمر قلبه بالتقوى، لم تخطئ له فراسة».

قال العلامة ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «إغاثة اللهفان» (١ / ٤٨):

الفائدة الثانية في غض البصر: نور القلب وصحة الفراسة.

قال أبو شجاع الكرمانى: من عمّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة.

وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

وهم: المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم، والفاحشة، وقال

تعالى - عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم -: ﴿اللَّهُ

نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

وسر هذا: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله

عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور

بصره عن المحرمات، أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من

أطلق بصره، ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من

نفسه، فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها، فإذا خلصت المرآة من



الصدأ انطبت فيها صور الحقائق كما هي عليه، وإذا صدئت لم ينطبع فيها صور المعلومات، فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون. اهـ

الخلاصة:

- ١- الإلهام ثابت شرعاً، وهو من الله لا من العبد.
- ٢- لا يكون إلا لأوليائه الصالحين.
- ٣- لا يُبنى عليه حكم شرعي ولا غيبٌ مطلق.
- ٤- في تفسير الأحلام هو توفيقٌ لفهم المعاني على أصولها الصحيحة.
- ٥- أما من يدّعي أن تفسيره وحْيٌ قُذف في قلبه بلا دليل، فهو بين كاذبٍ أو مستعينٍ بالجن.
- ٦- والفراصة نور الله في قلب عبده، وهي عونٌ للمفسر على تنزيل التأويل على حال الرائي.
- ٧- فهذان الأصلان - الإلهام والفراصة - متى اجتمعا في عبدٍ صالحٍ عالمٍ بالكتاب والسنة، كان من أهل السداد والتوفيق في هذا الباب الجليل.

الفائدة الثالثة: علم تفسير الرؤيا يختص الله به من يشاء

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِشْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ



﴿عَلِمَ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ [يوسف: ٦].

المراد بتأويل الأحاديث هنا تعبير الرؤى، جاء جماعة من المفسرين:
«عبارة الرؤيا»

فدَلَّ ذلك على أن تعبير الرؤيا علمٌ ربَّانيٌّ يختصُّ الله به من يشاء من عباده، لا يُنال بمجرد الدراسة أو التجربة، بل هو اصطفاءٌ وإلهامٌ وهبةٌ إلهية، يضعها الله حيث يشاء، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فليس كل عالمٍ أو صالحٍ أو طالبٍ علمٍ يُعطى هذا الفهم في التأويل، بل قد يفتح الله على قلب رجلٍ عامِّيٍّ من صدق نيَّته وصفاء قلبه ما لا يفتح به على فقيهٍ واسع الاطلاع، لأن العلم ليس بكثرة النقل وإنما بنورٍ يضعه الله في القلب، كما قال الإمام مالك: «ليس العلم بكثرة الرواية، إنما هو نورٌ يقذفه الله في القلب»، وعلم التعبير من هذا الباب.

وقد اختصَّ الله يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بهذا العلم إكرامًا له وتهيئةً لمقام النبوة، فكان تأويله وحياً لا يداخله الخطأ، ولهذا قال تعالى: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

أما غير الأنبياء، فإنهم وإن أعطوا شيئاً من هذا الفهم، إلا أن تأويلهم لا يسلم من احتمال الخطأ والوهم، لأنهم يجتهدون بالظن والاستنباط لا بالوحي المؤيَّد.

ومن هنا يُعلم أن علم التعبير ليس حكراً على الأنبياء، لكنه في حقهم



علمٌ يقينيٌّ مؤيدٌ بالوحي، وفي حق غيرهم علمٌ ظنيٌّ مبنيٌّ على الفراسة والإلهام.

الفائدة الحادية والثلاثون: أن علم التعبير مرتبطٌ بالتقوى وصلاح القلب

إن علم تفسير الرؤى ليس مجرد ملكة ذهنية أو فطنة عقلية، بل هو ثمرة التقوى وصفاء السريرة، فمن صفا قلبه أشرق فيه نور الفهم، ومن طهرت سريرته فتح الله عليه في التأويل والإدراك، ولهذا قال تعالى في وصف يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - بعد ابتلائه وبلوغه الرشد: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

فعلق الله تعالى الإيتاء بالحكم والعلم بوصف الإحسان، إشارةً إلى أن العلم الصافي ثمرة الإحسان في العمل، فمن كان محسنًا في طاعته، أكرمه الله بفهم وإلهام لا يبلغه أصحاب الذكاء وحده، ولذلك قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فهذا وعدٌ صريحٌ أن التقوى سببٌ لنور العلم والفهم والإلهام، وهو يشمل علم الشريعة والتعبير وسائر علوم البصيرة.

ولهذا كان المفسرون للرؤى لا يُقبل منهم التفسير إلا إن عُرفوا بالصلاح والتقوى وصدق الإيمان، لأن الرؤيا من الله، ولا يُعبرها إلا من اتصل قلبه بالله.

فلا يُعبر الرؤيا إلا من كان ناصحًا ورعًا، فإنما يُفتي عن أمرٍ من الله. وقد قيل: «من صفا قلبه صدق تأويله، ومن تكدر ظنه غلبه»، فصلاح



القلب أصل الصواب في العلم كله، ولا سيما في علم الرؤيا الذي يعتمد على الفراسة والإلهام، لا على المنطق وحده.

فكلما ازداد العبد طاعةً وإحساناً، زاد نصيبه من الفهم في التعبير، وكان كما قال تعالى عن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ

لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

الفائدة الثانية والثلاثون: علم الرؤيا يكتسب بالممارسة والتعلم

تدل الآية الكريمة ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦] على أن تعبير الرؤيا علمٌ من جملة العلوم الشرعية، وأنه كسائر العلوم التي يمكن تعلمها وتحصيلها، وإن كان أصلها موهبةً وإلهامًا في بعض الناس، إلا أنها تنمو بالمران والمطالعة والتجربة والضبط.

فالعلم أوله موهبةٌ وآخره اكتسابٌ، ومن جمع بين الأمرين بلغ الغاية في الفهم والدقة.

فالتعبير وإن كان في بدايته إلهامًا ربانيًا كما في حال الأنبياء، إلا أنه فيمن بعدهم علمٌ له قواعد وضوابط وأمثلة، تُكتسب بالممارسة والنظر في الرؤى ومقارنة تفسيرها بوقوعها، ومعرفة ألفاظ النصوص النبوية وأقوال السلف في هذا الباب.

ومن تأمل كتب العلماء في تعبير الرؤى، وجد أنهم دونوا قواعد واضحة في الربط بين الرمز والمعنى، مما يدل على أن هذا العلم قابل للتعليم والاكتساب.



وقول من قال: «علم التعبير موهبة محضة لا تكتسب» قول غير دقيق؛ إذ لو كان كذلك لما تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ كيفية التعبير، ولا ورثوها للتابعين.

فقد كان ﷺ يعبر الرؤى ويُقر أصحابه على التعبير، ويعلمهم طريقته، ومن أوضح أدلتهم ما جاء عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - أن رجلاً أتى رسول الله - ﷺ - فقال: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطَفُ السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَإِذَا سَبَبُ وَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وَصَلَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَاللَّهِ لَتَدْعَنِي فَأَعْبُرَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «اعْبُرَهَا» قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطَفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ، حَلَاوَتُهُ تَنْطَفُ، فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يَوْصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟

قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»



قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: «لَا تُقَسِّمُ» (١).
وفي هذا تعلیمٌ عمليٌّ أن التعبير يجتهد فيه ويُتعلَّم، وأنه ليس وحيًا
دائمًا ولا إلهامًا محضًا.

ثم إن واقع الناس اليوم يشهد بذلك؛ فكم من شخصٍ لم يكن له معرفةٌ
بعلم التعبير، ثم بدأ بدراسة رموزه وأحكامه وضوابطه ومقاصده، فإذا به
بعد مدةٍ يصبح متمكنًا فطنًا في تأويل الأحلام، يصيب في أغلبها بإذن الله،
ويُوفِّق في الربط بين الرموز والمعاني.

وهذا شاهدٌ حيٌّ على أن هذا العلم يُكتسب بالتعلم والتجربة، لا أنه
حكرٌ على ذوي المواهب دون غيرهم.

فخلاصة القول أن علم الرؤيا موهبةٌ في أصلها، مكتسبةٌ في فرعها، فمن
وُهب فيها نور الفهم ثم سعى في تعلمها زاد نوره، ومن تعلمها بإخلاصٍ
وصبر وبذلٍ للجهد فتح الله عليه فتحًا عظيمًا، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الفائدة الثالثة والثلاثون: وجوب تزكية المعبر لنفسه وحفظه لنعمة التعبير

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١).

تقدّم أن تأويل الأحاديث هو تفسير الرؤى، وفي هذه الآية يقرّ يوسف

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٦)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٩).



- عَلَيْهِ السَّلَام - بمنة الله عليه، فيجمع بين شكر النعمة والدعاء بالثبات والصلاح، فيقول بعد أن آتاه الله الملك وعلمه هذا العلم الشريف: ﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١)، إشارة إلى أن من أعطي علم التعبير فعليه أن يجاهد نفسه ليكون من أهل الصلاح والورع، لا من أهل الغرور والعلو.

ففي الآية تنبيهٌ عظيمٌ للمعبرين أن هذا العلم منزلة ربانية لا تُعطى لكل أحد، بل هي اصطفاء واختيارٌ إلهي.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦]، فمن وهبها فعليه أن يعرف قدرها، فيحمد الله عليها ويصونها عن موارد الفتنة، وأن لا يجعلها وسيلةً للعالم ولا سلعةً للتجارة.

فإن المعبر تُفتح له أبواب القلوب، ويقبل عليه الناس على اختلاف طبقاتهم - من الأغنياء والوجهاء والملوك وسائر العامة - لأنهم يرون فيه من العلم ما يكشف مكنون صدورهم، فينبهون ببيانه ودقة تعبيره، وربما يقع في قلبه الغرور والعجب إن لم يُجاهد نفسه، فيظن أن ما عنده من علم التعبير ملكٌ له لا عطية من الله، فيفتن بالشهرة والجاه والمال.

ولهذا كان الواجب على المعبر أن يجعل علمه خالصاً لله تعالى، وأن لا يسخره لطلب المال أو مدح الناس، بل يقصد به النصح والإصلاح، ويعامل الناس بالتواضع واللين، ويكون ناصحاً لا متعاليًا، متجرداً لله في كل ما يعبر.



فإن في العلم فتنة خفية لا ينجو منها إلا من جاهد نفسه كما قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقد ابتلي كثير من المعبرين في هذا الزمان بفتنة الشهرة والدنيا، فصار بعضهم يبيع تعبيره، أو يجعل للرؤيا ثمنًا، أو يتكسب بها عند أهل المال، بعد أن كان زاهدًا متجردًا، فأضاع بذلك بركة العلم وصدق الإلهام، وصار علمه عليه وبالًا لا رفعة.

فجديرٌ بكل مفسرٍ أن يعتبر بدعاء يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، وأن يكون مقصده من علمه أن يلحقه الله بالصالحين، لا أن يلحقه بركب الدنيا.

الفائدة الرابعة والثلاثون: نسبة الفضل في علم التعبير إلى الله تعالى لا إلى النفس

ينبغي على مفسر الأحلام الذي أنعم الله عليه بموهبة التأويل أن يُكثر من حمد الله وشكره على ما أولاه من هذه النعمة العظيمة، وأن يعترف بفضل الله عليه، فإن هذا العلم ليس بحول العبد ولا قوته ولا بذكائه ولا بكثرة اطلاعه، وإنما هو نورٌ يقذفه الله في القلب، ورحمةٌ يختص بها من يشاء من عباده.

فإذا رأى المعبر من نفسه فطنةً في التأويل وصدقًا في الإصابة، فليعلم أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليجعل شعاره الدائم قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فمن شكر هذه النعمة زاده الله توفيقًا وبصيرة، ومن نسبها إلى نفسه وكياسته وذكائه خذل وسلب البركة وربما سلب الفهم نفسه، لأن الله



تعالى يغار على نعمه أن تُنسب لغيره.

فلا يليق بالمعبر إذا سُئل: «كيف تعلمت هذا العلم؟» أن يملأ جوابه حديثاً عن موهبته واجتهاده، أو عن اطلاعه ووراثته لهذا العلم عن قريب أو شيخ أو أب، بل الواجب أن يبدأ بالحمد لله ويُرجع الفضل إليه، ويقول كما قال يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

فمع أنه نبيُّ ابن نبي، وأبوه يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان من أعلم الناس بتأويل الأحلام، لم ينسب العلم إلى أبيه، ولم يقل: «ورثته عن والدي»، بل قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠١].

فأسند الفضل إلى معلمه الحقيقي سبحانه وتعالى.
وما أكثر ما رأينا من عوام أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، ومع ذلك فُتح عليهم في التعبير، وأصابوا في التأويل إصابةً عجيبة، فلو كان الأمر بالذكاء وحده أو بالوراثة لما رُزق هؤلاء نصيباً منه.
فالعبرة إذاً بمنّة الله لا بالوسائل البشرية، وإنما تكون القراءة والاطلاع والتجربة أسباباً تُكَمِّل ما أَرَادَهُ اللهُ من كرامةٍ لعبده، لكنها لا تُنشئ العلم من غير إذنٍ إلهي.

ولهذا فليكن شعار المعبر في كل حال: «اللهم ما بي من نعمةٍ فمنك



وحدك، لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر».

قال الراغب الأصفهاني في «الذريعة الى مكارم الشريعة» (ص ١٤٧):
وهذا العلم -التعبير- يحتاج إلى مناسبة بين متحريه وبينه، فرب
حكيم لا يرزق حدقاً فيه، وربما نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم يرزق
حظاً فيه، وتوجد له فيه قوة عجيبة.

الفائدة الخامسة والثلاثون: صفاء القلب شرط في صفاء التعبير

إن علم الرؤيا من العلوم التي تحتاج إلى نورٍ من الله تعالى يشرق في
القلب، وهذا النور لا يثبت إلا مع صفاء القلب من الذنوب والمعاصي.
فكلما كان القلب نقياً تقيّاً، صافي السريرة، قوي الصلة بربه، كان أدقّ في
الفهم وأصدق في التعبير، لأن الرؤيا من عالم الغيب، وتأويلها من دقائق
الإلهام، والإلهام لا ينزل على قلبٍ مظلمٍ غافل.
ولهذا كان يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من أهل التقى والطهارة، قال تعالى:
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فكان إخلاصه سبباً لإكرامه بعلم التعبير، فالتعبير نورٌ على نور، لا
يجتمع مع ظلمة الذنب، كما أن الفهم الصحيح لا يجتمع مع هوى
النفس.

فمن أراد أن يرزقه الله الفراسة الصادقة فليطهر قلبه من المعاصي،
والتعبير فرعٌ من الفراسة، بل هو من أطف أنواعها، لأن المعبر يقرأ من
الرموز ما لا يرى بالعين، ولا يُدرك بالعقل وحده، وإنما يُفاض على قلبه



من نور الله.

ولهذا ترى أن بعض الناس يُكثرون من النظر في كتب التعبير، ومع ذلك لا يصيبون في التأويل، بينما ترى آخرين لا يملكون من العلم إلا قليلاً، ولكنهم يصيبون في التعبير إصابة عجيبة، والفرق بينهما طهارة القلب وصفاء السريرة، فإن الذنوب تطفئ نور البصيرة كما يُطفئ الدخان ضوء السراج.

فينبغي على المعبر أن يُجاهد نفسه بالطاعة والذكر والاستغفار، وأن يُكثر من الدعاء بأن يثبته الله على صفاء القلب، لأن من فقد الصفاء أظلمت بصيرته، وأخطأ في التأويل، فصار علمه وبالأعلى عليه لا رحمة له. فليكن من شعار المعبر: «اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في فهمي، ونوراً في تعبيري، ولا تجعلني من الغافلين».

الفائدة السادسة والثلاثون: خطأ المعبر في التأويل لا يبطل علمه ولا يسقط عدالته

إن علم تعبير الرؤى من العلوم الاجتهادية التي قد يُصيب فيها المعبر أو يُخطئ، ولا يُعاب عليه ذلك ما دام لم يتعمد القول بغير علم، بل بذل وسعه واجتهده في تأويل الرؤيا على ضوء القواعد والأدلة والمعاني الصحيحة.

فالمعبر كالمفتي والمجتهد في الفقه، يُثاب على اجتهاده وإن أخطأ، لما جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ



أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» (١)

فمن أخطأ من المعبرين لم يقدر خطؤه في صلاحه ولا في علمه، لأن التعبير اجتهداً مبني على الظن الغالب، وليس وحياً ولا قطعاً، وقد أخطأ في التعبير بعض من هم من خيار السلف ومنهم خير الناس بعد الأنبياء الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يُعَدَّ خطوهم عيباً، ولذلك كان من أدب المعبر أن لا يجزم بتأويله جزماً قاطعاً في كل حال، فإن الجزم في الرؤيا كالقطع في الفتوى بغير بينة، والإنسان مهما بلغ في علمه يبقى محدود الفهم.

قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

والواجب على المعبر أن يتحرى الصواب، ويعتمد على القواعد المأثورة، ويتورع عن التخمين، فإن أصاب فبفضل الله، وإن أخطأ فله أجر اجتهداه، بشرط أن يكون قصده النصيح لا الرياء، وأن يكون تأويله مبنيًا على علم ودليل لا على هوى وتخرّص.

أما من جعل التعبير وسيلة للتكلف أو التنبؤ أو الإرجاف أو الخداع، فذلك ممن قال في دين الله بغير علم، وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ» (٢)

فالفرق بين معبر مجتهد مأجور ولو أخطأ، وبين متقول متخرّص

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه الحاكم في «مستدركه» (١/١٢٦) وصحه الإمام الألباني في «صحيح

الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٠٤٨).



آثم ولو أصاب.

الفائدة السابعة والثلاثون: علم التعبير لا يؤخذ إلا عن أهل الصدق والدين

إن علم تفسير الأحلام بابٌ من أبواب الغيب، والغيب لا يؤتمن عليه إلا صادق اللسان، تقي الجنان، ناصح أمين، لأن المعبر يخبر عن أمورٍ يلقيها الله في قلوب الناس، وقد يجعل الله في تعبيره بشارةً أو إنذاراً أو كشفًا لأمرٍ مستور، فلا يجوز أن يتكلم فيه إلا من جمع بين العلم والديانة والورع.

ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** «**لَا تَقْصُوا الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**» (١)

فجمع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في هذا الحديث بين العلم الذي يمنع الخطأ، والنصيحة التي تمنع الغش والخيانة.

فمن لم يكن عالمًا بأصول التعبير، ولا ناصحًا في قصده، فلا يؤخذ عنه هذا العلم ولو كان فصيحًا أو مشهورًا، لأن التعبير إذا خرج من غير أمين صار تخمينًا وافتراءً على الله، إذ المعبر في الحقيقة يخبر عن تأويلٍ لما أراده الله من الرؤيا، فإن كذب أو جهل فقد افترى على الله.

وقد كان يوسف - **عَلَيْهِ السَّلَام** - من صفوة الله الصادقين، قال تعالى:

﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (٢٤) [يوسف: ٢٤]،

فلذلك أكرمه الله بعلم التعبير، وقرن بين الإخلاص والعلم، فبهما

(١) وقد تقدم (ص: ٣٦)

يُحَفِظُ مِيزَانَ التَّوَلُّيْلِ، وَيُسَدِّ بابَ الْفِتْنَةِ وَالضَّلَالِ.

وفي هذا تحذير من الاغترار بكثرة المعبرين في هذا الزمان، ممن يتصدرون المنصات ويدعون المعرفة بالرؤى دون علمٍ أو ورع، فيوقعون الناس في الحزن والاضطراب وربما اليأس، لأنهم يتكلمون بغير بصيرة. وقد قال بعض العلماء ﴿إنما العلم عند من يخاف الله﴾، فكل من لا يرى عليه أثر الخشية، فليس بعالمٍ يُؤخذ عنه. فحريٌّ بالرأي أن يتحرى من يعرض عليه رؤياه، فلا يذهب إلى من اشتهر فحسب، بل إلى من ظهرت عليه أمارات الصدق والورع والأمانة، فإن صدق المعبر من صدق نيته، ومن خان نيته خان في تعبيره.

الفائدة الثامنة والثلاثون: علم التعبير نعمة ومسؤولية، ومن لم يشكرها عوقب بحرمانها

إن علم تفسير الأحلام نعمة ربانية ومنحة إلهية، يفتح الله بها على من يشاء من عباده ليكشف له من أسرار الغيب ما لا يدركه غيره. وهذه النعمة إنما تُعطى اختباراً لا افتخاراً، وابتلاءً لا تركية، فمن شكرها بالتواضع والإخلاص زاده الله نوراً على نور، ومن بطرها ونسبها إلى نفسه أو جعلها وسيلة للدنيا والرياء، سُلِبَت منه تلك الموهبة، وصار بعد العز ذلاً، وبعد الإلهام حيرةً وضلالاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُحُومُكُمْ لِمَن شَكَّرْتُمْ لَا تَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧].



فالمعبر مأمور أن يحفظ هذا العلم وأن يقف عند حدّه فلا يتكلف ما لا يعلم، وأن يجعل قصده نفع الناس، لا مدحهم له، ولا ما يرجوه من عطائهم.

ومن أعظم الفتن أن يُزَيَّن للعبد حبّ الشهرة في هذا الباب، فيتسابق الناس إلى سماع تعبيره، فيُعجب بنفسه ويسترسل في القول حتى يقع في الكذب والتخرّص.

وقد رأينا من المعبرين من كان في بدايته متجرّدًا ناصحًا، ثم لما اشتهر وذاع صيته صار لا يعبر إلا بمقابل، ولا يتكلم إلا في الإعلام، ولا يذكر الله إلا قليلًا، فمحا الله بركة علمه، وذهب عنه نور الإلهام الذي كان معه في أول أمره.

فليتأمل المعبر حال يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، مع ما أكرمه الله به من الملك والعلم، كيف ختم دعاءه بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]،

فما أعظم ختام الموهوبين إذا كانت غايتهم الصلاح لا الافتخار، والتجرد لا التكبر.

الفائدة التاسعة والثلاثون: هل تعبير الرؤيا مبني على غلبة الظن؟

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].



اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿ظَنَّ أَنَّهُ نَجِجٌ مِّنْهُمَا﴾: هل هو ظنّ يقيني بمعنى العلم الجازم، أم هو ظنّ غالب مبني على الاجتهاد والتأويل؟

والراجح أن الظن هنا بمعنى اليقين المقرون بغلبة الاطمئنان؛ إذ كان يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - نبياً لا يتكلم في الغيب بالحدس، وإنما بما علّمه الله من تأويل الأحاديث، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف: ٦].

ولكن القرآن اختار لفظ إشارة إلى أن علم التعبير قائم على الدليل والقرينة لا على القطع المطلق، لأن الرؤيا لا تُدرك بالحس وإنما تُفهم بالعلامة والقياس.

ففي الآية بيان لطبيعة علم التعبير: أنه علم ظنيّ راجح، يغلب فيه الظنّ بالصواب، لا العلم اليقيني الذي لا يحتمل الخطأ، وإن كان المعبر صادقاً موقفاً.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «الرُّؤْيَا مُعَلَّقَةٌ بِرَجُلٍ طَائِرٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا صَاحِبُهَا، فَإِذَا حَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ» (١). أي إذا أُوتِ تأويلاً صحيحاً راجحاً موافقاً للأصل، نفذ حكمها بإذن الله.

ومن فقه هذه الفائدة أن على المعبر أن يتكلم بعلمٍ وحذرٍ، فلا يجزم

إلا بما ترجح عنده من القرائن، ولا يتكلف القطع في أمرٍ مبنيٍّ على الإلهام والفهم، فإن التعبير اجتهداً مبنيٍّ على نورٍ من الله، لا على وحيٍ معصوم. فدلّت الآية على أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يتكلّم عن ظنٍّ مجردٍ، وإنما عن علمٍ راجحٍ من وحيٍ وتعليمٍ ربانيٍّ، وأن المعبرين بعده إنما يتبعون هذا المنهج، فبينوا تأويلهم على غلبة الظن المدعومة بالأدلة، لا على الهوى والتخمين.

فهو علمٌ بين العلم والظن، يجمع بين نور البصيرة ودقة الفهم، كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦).

الفائدة الأربعون: التعبير علمٌ واجتهادٌ لا وحيٌ ولا كهانةٌ

من تأمل منهج يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في تفسير الرؤى علم أن التعبير علمٌ يؤخذ بالفهم والقياس، لا بوحىٍ بعد النبئين، وأنه بابٌ من أبواب الاجتهاد القائم على القرائن والأشباه والنظائر. فالوحي انقطع بموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبقي بعده الفهم الراسخ والعلم المستنبط.

وقد كان يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ملهً مؤيداً بوحى الله، لا يخطئ في تعبيره، لأنه من جملة الوحي الذي اختصّه الله به، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف: ٦].

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٢].

أما من بعده، فالتعبير عندهم فهمٌ واستنباطٌ مبنيٌّ على العلم والفقه



والتجربة، لا على دعوى الإلهام المطلق ولا كشف الغيب، فمن زعم أنه يعلم تأويل كل رؤيا علمًا يقينًا، فقد تناول على مقام النبوة.

والدليل على أن التعبير علمٌ اجتهدائيٌّ قول النبي ﷺ: «وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبَوَّةِ» (١).

وفي هذا إشارة إلى أن الرؤيا من آثار النبوة لا من ذاتها، فهي تُفهم بفراسة المؤمن وبصيرته، لا بوحى ينزل عليه.

ولهذا كان العابر الموفق هو من جمع العلم بالشرع، والفهم بلغة الرموز، والورع في الفتوى، كما في الحديث: «لَا تَقْصُرِ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ نَاصِحٍ».

فالتعبير الصحيح إذا قائمٌ على ثلاثة أركان:

🔸 العلم الشرعي الذي يزن به الرموز والألفاظ.

🔸 الفقه بالواقع الذي يُنزل به المعاني على أحوال الناس.

🔸 الفراسة الإيمانية التي يفتح الله بها على من صدق في قصده وتحرى الحق.

ومن جمع هذه الأركان نال من علم يوسف قبسًا، ومن حكمته نورًا، ومن فقهه ذوقًا.

أما من جعل التعبير تكهنًا أو دعوى علم الغيب أو تجارةً دنيوية، فقد انحرف عن سبيل المرسلين، لأن الرؤيا آية من آيات الله، لا تُفسر إلا

(١) تقد (ص: ٢٩)





بميزان العلم والإيمان.

وهكذا يكون علم التعبير: اجتهدًا محمودًا، لا وحيًا معصومًا، وبابًا
من أبواب الفقه في سنن الله، يهدي الله به من يشاء من عباده إلى الصواب.



الباب الثاني رموز رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - وتعبيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

أولاً: رمزية الكواكب

الكواكب في الرؤى تُعبّر عن الإخوة أو القرابة أو الأعوان، لأنهم يدورون حول الأصل كما تدور الكواكب حول القمر والشمس. وهي أيضاً دلالة على الأتباع والأنصار، إذ يتلأأ كلٌ منهم بقدر قربته من النور الأعظم.

وقد عبّر يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - الكواكب بإخوة يوسف الأحد عشر، لما رأى من التناسب في العدد، ولأنهم كانوا حوله مجتمعين، فناسبت الصورة المنامية حقيقة الحال.

وقياساً على ذلك: «من رأى كواكب تسجد له، أو تضيء حوله»، نال رفعةً بين أهله أو قومه أو تلاميذه، «وإن رآها تظلم أو تتساقط»، دلّ على ضعف حال قرابته أو زوال جاهٍ بينهم.



ثانيًا: رمزية الشمس

«الشمس» في الرؤيا ترمز إلى الأب أو السلطان أو صاحب الجاه، لأنها مصدر النور والهيبة، وبها قوام النهار، كما أن الأب قوام البيت والعائلة. وقد فسّرت في رؤيا يوسف بأبيه يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام -، لما فيها من الشبه في العلو والقيادة والرعاية. وقياسًا على ذلك: «من رأى الشمس تشرق عليه»، نال نورًا ورفعةً وسعادةً بقدر ضيائها، «ومن رآها تغيب أو تُحجب»، نقص جاهه أو فقد أحد والديه أو رؤسائه، «ومن رآها تسجد له»، دلّ على خضوع صاحب سلطان له بقدر تأويل الرؤيا وسياقها.

ثالثًا: رمزية القمر

«القمر» في المنام يُعبّر بالأم غالبًا، لأنه أنيس الليل ورمز الحنان والسكينة، وهو يأخذ نوره من الشمس كما يأخذ الولد نور حياته من أمه. وقد عبّر يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - بأم يوسف عليهما السلام، فكانت الرؤيا مشتملة على والديه مع إخوته جميعًا. وقياسًا على ذلك: «من رأى القمر بدرا مضيئًا»، نال سرورًا وطمأنينةً من أمه أو زوجته، «ومن رآه منكسفًا أو محجوبًا»، دلّ على حزنٍ أو فراقٍ أو مرضٍ فيمن يقوم مقام الأم في حياته.



رابعاً: رمزية السجود

«السجود» في المنام تعظيمٌ وتكريم، لا عبادةٌ بالمعنى الشرعي. وهو دالٌّ على الخضوع والميل والتقدير، كما قال تعالى عن رؤيا يوسف: ﴿رَأَيْنُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، أي خاضعين له بالاحترام والمحبة بعد تمكينه ورفعته.

وقياساً على ذلك: «من رأى من يسجد له»، نال منزلةً رفيعةً، أو اعترافاً بفضله، أو اجتماعاً للكلمة بعد فرقة، بشرط أن لا يفهم منه معنى باطل في الدين.

خامساً: رمزية العدد

«العدد» في الرؤيا له دلالة رمزية بديعة، وقد جاء هنا قوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، فوافق عدد إخوة يوسف، فكان العدد قرينةً على المراد. ومن لطائف علم التعبير أن العدد يُعتبر من القرائن المكملّة للمعنى، ولا يُفصل عن سياق الرؤيا.

فمن رأى عددًا له علاقة بأهله أو عمله أو طلابه، حمل على ما يناسب حاله، ولا يفهم العدد على ظاهره دائماً، بل بالقرائن المحيطة.

سادساً: رمزية النور

«النور» في المنام علمٌ وهدى ورفع، وهو ملازم للكواكب والشمس والقمر جميعاً، وقد اجتمعت في رؤيا يوسف إشارات الأنوار الثلاثة،



فكانت بشارَةً باجتماعه وعلو مقامه.

وقياسًا على ذلك: «من رأى الأنوار تشرق عليه أو تلتف حوله»، نال علمًا أو هدايةً أو ذكرًا حسنًا بين الناس، «ومن رأى انطفاءها»، خشي عليه من الغفلة أو ذهاب العلم أو فقد الرفعة.

سابعًا: رمزية النجوم وقياسها في الهداية

«النجوم» في الرؤيا آياتٌ هدى، ودلالاتٌ توجيهية، ترشد التائه وتضيء سبيل السالك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وقد جعلها الله زينة السماء، ورموزَ الاهتداء في الظلمة، فهي في المنام دليلٌ على العلماء والفضلاء والمرشدين، الذين يُستضاء بعلمهم كما يُستضاء بالنجوم في الليل.

وفي رؤيا يوسف كانت الكواكب تمثل إخوته، لكن فيها أيضًا إشارةً إلى الهداية العامة التي أكرمها الله بها، إذ جعله نجمًا لبيته وأمه، يهتدون بنوره في دينهم ومعاشهم.

وقياسًا على ذلك: «من رأى النجوم لامعةً ثابتةً في السماء»، دلّ ذلك على الثبات على الهدى، «ومن رآها متساقطةً أو منطفئةً»، خيف عليه من الفتنة أو انطماس البصيرة. «ومن رآها تدنو منه أو تدخل بيته»، نال علمًا أو ولدًا صالحًا أو مكانةً رفيعة.

فالنجوم في الرؤى تقاس على معاني الهداية والعلم والنور، «ومن رآها



يهتدي بها أو «ينظر إليها في طمأنينة»، فقد رُزق بصيرةً في دينه.

القياس في رموز رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

إن تأويل يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لهذه الرموز قام على أصلٍ من أصول علم التعبير، وهو القياس بين الرمز والمعنى. فـ«الشمس» تُقاس بالأب لجلالها، و«القمر» بالأم لحنانها، و«الكواكب» بالإخوة لتشابههم في العدد، و«السجود» بالخضوع والمحبة، و«النور» بالعلم والتمكين.

فلم يكن التعبير حدسًا مجردًا، بل فقهاً مستنبطاً من وجه الشبه بين الصورة المنامية والحقيقة المعنوية، على وفق الشرع والعقل والعادة. وهكذا سار يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - من بعده في تأويل رؤى غيره، يجمع بين العلم والفراصة والإلهام، فصار علم التأويل عنده قائماً على القياس الصحيح لا على الظن، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].





الباب الثالث: الفوائد المستفادة من قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ ﴾

مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِى أَعْصِرُ
خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْرًا
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثْنَا بِنَايِلِهِ إِنَّا نَزَبْنَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ [يوسف: ٣٦].

هذه الآية الكريمة تمثل مرحلة جديدة من مراحل السيرة النبوية
ليوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، حيث انتقل فيها من قصر العزيز إلى ظلمة السجن،
ومن نعيم الحرية إلى ضيق القيود، لكنه كان في كل حال عبداً شاكراً لله،
ثابتاً على الإحسان.

فلم يكن دخوله السجن ضعفاً ولا هزيمة، بل كان لطفاً من الله يمهّد
لتمكين رباني عظيم، إذ كانت هذه الفترة تهيئة إلهية لصقل شخصيته
النبوية، وإعداداً له لتحمل أمانة الملك والحكم.

وفي هذا المشهد تتجلى رحمة الله وحكمته في تربية أوليائه؛ فالسجن
الذي ظنه الناس بلاءً، كان في الحقيقة مدرسة تربوية ربانية، خرج منها
يوسف أكثر إيماناً، وأوسع علماً، وأقرب إلى الله.

ومن عجيب قدرة الله أن تكون رؤيا السجينين هي بداية الفرج ليوسف
نفسه، فهي التي أعادت ذكره إلى الملك بعد سنين، فكانت الرؤيا باباً



لتمكينه بعد طول ابتلاء.

وتُظهر هذه الآية الكريمة جمال خُلق يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، إذ أحسن إلى رفقاءه في السجن قبل أن يُحسن إلى من في القصر، وكان في معاملته لهم نموذجًا للداعية الرباني الذي يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويقدم التوحيد على كل أمرٍ دنيوي.

وقد جمعت هذه الآية بين معانٍ جليّةٍ في التربية والإيمان والدعوة والصبر والإحسان، فهي مشهدٌ يفيض بأنوار الصدق والتسليم والتوكل، وتضمّ بين ألفاظها إشاراتٍ دقيقةً في علم الرؤى والتعبير، وسنن الابتلاء والتمكين.

وسنذكر في هذا الباب - بعون الله - جملةً من الفوائد المستنبطة من هذه الآية وما بعدها من سياق رؤيا السجينين، ليتبيّن للقارئ عظمة القرآن في تصويره، ودقة بيانه في عرض الحقائق الإيمانية والتربوية، وكيف أن في كل لفظٍ منها عبرةً لأولي الألباب.

الفائدة الأولى: أن الإحسان سبب لقبول القول والثقة في التعبير

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣٦].

دليلٌ على أن الناس إنما يقبلون من المعبر إذا رأوا عليه أثر الصلاح والإحسان، فالإحسان يُورث هيبةً في القلوب وثقةً في الأقوال.

رأى الفتيان في يوسف نور الإيمان وحسن الخلق، فوثقا بعلمه وعدالته، ولم يذهبا إلى غيره رغم كونهما في سجنٍ يزدحم بالمذنبين.



وهذا أصلٌ في الدعوة والتعليم: أن القدوة الصالحة تسبق البيان، وأن العلم بلا إحسانٍ قلُّ نفعه، كما أن الإلهام بالتعبير لا يُعطى إلا لقلبٍ طاهرٍ عامرٍ بالإيمان.

الفائدة الثانية: أن الرؤيا لا تُقصَّ إلا لمن يحسن تأويلها

قولهما: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ فيه أدبٌ رفيع، إذ لم يقصَّ رؤياهما إلا على من علما أنه أهلٌ للفهم والتأويل.

وفي هذا تنبيهٌ للرأيي ألا يحدث برؤياه كلَّ أحدٍ، بل يلتمس من جمع بين العلم والدين، لئلا يقع في شرِّ التأويل الجاهل أو الظالم. وقد جاء في الحديث عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:

«إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى ذِي نَاصِحٍ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، وَلْيَتَأَوَّلْ خَيْرًا»

وفي رواية: «لَا تَقْصُوا الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ» (١)

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢ / ٣٦٩):

أما العالم فإنه يؤولها على الخير مهما أمكنه، وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفع الرأيي ويعينه عليه، وأما اللبيب العارف بالتأويل فإنه يخبره بما يليق أو يسكت، وأما الحبيب فإن علم خيرًا قاله، وإن جهل أو شك

(١) رواه الترمذي (٢٢٨٠) والدارمي (٢١٤٧) وغيرهما وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١ / ٢٣٧).



سكت.

فدلّ على أن التعبير أمانة، وأن اختيار من يُعبّر الرؤيا بابٌ من أبواب الحكمة.

الفائدة الثالثة: أن الرؤيا الصادقة قد تقع في الشدائد كما تقع في الرخاء

لم تكن رؤيا السجينين في دار ملكٍ ولا في بيت طمأنينة، بل في ظلمة السجن، ومع ذلك حملت من إشارات القدر ما شاء الله أن يقع. وفي هذا تربيةٌ على أن رحمة الله لا تنقطع بحال العبد، فكم من رؤيا في الشدة كانت مبدأ فرج، وكم من بلاءٍ اشتمل على بشارة خفية. فالرؤيا ليست حكراً على حال النعمة، بل قد تكون في البلاء طريقاً إلى النجاة.

الفائدة الرابعة: أن المعبر الداعية يقدم التوحيد على التأويل

قال يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بعد أن قصّا عليه رؤياهما: ﴿يَصْصَحِي السِّجْنَ ءَآرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. فلم يُسارع إلى التعبير، بل قدّم الدعوة إلى الله قبل الجواب، ليعلمهما أصل الدين.

وهذا منهج الأنبياء: تقديم الهداية على الحاجة، والنصح على الخدمة، فكان يوسف معلماً في السجن كما كان عزيزاً في الملك. وفي هذا درسٌ للدعاة والمفسرين: أن العلم إذا لم يُثمر دعوة إلى



التوحيد فهو علمٌ ناقص.

الفائدة الخامسة: أن صدق التعبير من دلائل النبوة وكرامة أولياء الله

تحققت رؤيا السجينين على وفق ما أوله يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فكان ذلك تصديقاً لوعد الله له في قوله: ﴿وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١].

وفي هذا إشارة إلى أن التعبير الصحيح آية من آيات الله، يُظهرها على يد عباده المخلصين؛ ليعلم أن ما ينطقون به توفيقٌ من عنده لا حيلة فيه لبشر.

فالتعبير علمٌ وهبة، من جمع بين الفهم والصدق والإيمان، أكرمه الله ببصيرة لا تخيب.

الفائدة السادسة: أن اختلاف الرؤى دليل على تنوع القضاء والقدر

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣٦].

اختلاف الرؤيا بين الفتیین - أحدهما في عافية والآخر إلى هلاكٍ - يبين أن الناس في القدر متفاوتون، وأن الله يقضي لكل نفسٍ بما يشاء من رزقٍ وأجلٍ وعاقبة.

وفيه إشارة إلى عدل الله وحكمته في تقسيم الأقدار، وأن الرؤى لا



تُحَكِّي عَلَى وَجْهِ التَّمَنِّي، بَلْ عَلَى وَجْهِ التَّسْلِيمِ لِحِكْمَةِ اللَّهِ وَمَا يَقْدَرُهُ.

الفائدة السابعة: أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان مهأباً حتى في السجن

من قول الفتيين: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [سورة يوسف: ٣٦].
يظهر أن هيبة يوسف وإحسانه ظهرت حتى في حال أسره، فلم تذهب السجون نوره ولا مكانته، بل زادته إجلالاً.
وفي هذا تعليم للدعاة والعلماء أن الثبات على الأخلاق والإحسان لا يختص بزمان الرفاهية، بل يظهر أثره في كل حال، وأن القدوة الصالحة أعظم دعوة إلى الله.

الفائدة الثامنة: أن المعبر قد يُقدّم للناس من خلال عمله لا منصبه

لم يكن يوسف في مجلس علم ولا على منبر، بل في السجن بين مذنبين، ومع ذلك عُرف بفضله وطلبوا علمه.
فالعبرة ليست بالمنصب، وإنما بالصدق والإحسان؛ فحيثما كان العالم نفع الله به، ولو في سجن ضيق، وكذلك القلوب التي رُفعت بالإيمان تشرق بالنور ولو في الظلمات.

الفائدة التاسعة: أن وقوع الرؤيا تابع لصحة تأويلها

قال تعالى: ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ [يوسف: ٤١].





دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا إِذَا كَانَ صَوَابًا، صَارَ سَبَبًا فِي وَقُوعِهَا عَلَى مَا أَوَّلَهَا الْمَعْبَرُ، أَمَا إِذَا كَانَ بَاطِلًا، لَمْ يَقَعْ كَمَا سَيَأْتِي فِي رُؤْيَا الْمَلِكِ حِينَ أَخْطَأَ جَلَسَاؤُهُ فَقَالُوا: «أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ».

فَالْتَعْبِيرُ عِلْمٌ دَقِيقٌ لَا يُنَالُ بِالتَّخَرُّصِ، بَلْ هُوَ نُورٌ مِّنَ اللَّهِ يَصَدِّقُهُ الْوَاقِعُ.

الفائدة العاشرة: أن الرؤيا قد تكون سبباً في تمييز الصادق من الكاذب

تحققت رؤيا أحد الفتيين كما أولها يوسف -عَلَيْهِ السَّلَام-، وكُذِّبَ
تأويل الآخر، فكانت الرؤيا ميزان صدقٍ وكشفٍ للحق.
وفي هذا تعليمٌ أن ما يجري في المنام ليس عبثًا، بل قد يكون بابًا لكشف
الصادق من المدعى، وأن الله يُظهر بقدرته الحق ولو بعد حين.

الفائدة الحادية عشرة: أن تأخير تحقق بعض الرؤى لا يعنى بطلانها

رؤيا الفتى الذي نجا تحققت بعد حينٍ من الزمن، ولم تقع في لحظتها، فكان فيها درسٌ أن وعد الله لا يُنسى، وأن ما أوّله المعبر الصادق لا بد أن يقع في أوانه.

وفي هذا تثبيتٌ للقلوب على الصبر وانتظار الفرج، فالأقدار لها مواعيد مضبوطة لا تتقدّم ولا تتأخّر.

الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا قد تكون سبباً في رفع البلاء وتمييز أهل الخير

يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أوّل الرؤيا بإلهام الله، فكانت سبباً في معرفة



الساقى به بعد خروجه من السجن، ثم كانت تلك الذكرى باباً لفرجه لاحقاً.

فدلّ ذلك على أن من أخلص لله في القول والعمل جعل الله في كلماته البركة والنفع للناس، ولو بعد سنين طويلة.

الفائدة الثالثة عشرة: أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - لم يستغل حاجتهم إليه في الدنيا، بل دعاهم إلى الله.

قال تعالى: ﴿يَصْصَحِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

قدّم التوحيد على طلبهم، فكانت دعوته ناصحة خالصة، لا طمع فيها ولا مصلحة.

وهذا أدب الأنبياء، أن ينصحوا الله لا لأنفسهم، وأن يروا في كل فرصة باباً للهداية لا وسيلة للمكانة.

الفائدة الرابعة عشرة: أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - كان مخلصاً في الدعوة حتى مع العصاة

فلم ييأس من فتيين دخلا السجن بذنوب، بل خاطبهما بأدب الرفيق، فقال: ﴿يَصْصَحِي السَّجْنَءَ﴾ فجمع بين اللين في الخطاب والصدق في البيان. وفيه درسٌ عظيم للدعاة: أن اللين والرفق بابُ القبول، وأن من أراد قلوب الناس فليدخلها بالحسنى، لا بالعنف والتفريع.



الفائدة الخامسة عشرة: أن الإنسان إذا نسي في الأرض فربه لا ينساه

قال تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

نسي الفتى الساقى أن يذكر يوسف للملك، لكن الله لم ينس عبده، فكان النسيان تأديباً ورحمة، حتى يخرج يوسف في الوقت الذي قدره الله. وفي ذلك تسليّة لكل مبتلى: إذا نسيك الناس، فربك أرحم وأعلم بمصلحتك.

الفائدة السادسة عشرة: أن النسيان قد يكون من قدر الله لحكمة خفية

نسيان الفتى لم يكن صدفة، بل لحكمة عليا في تأخير خروج يوسف إلى الوقت الأنسب لتمكينه. ففي هذا تنبيه عظيم: أن بعض التأخيرات رحمة، وبعض الإهمالات تهيئة، وأن الله يدبر الأمور بقدر لا تراه العيون، لكن تؤمن به القلوب.

الفائدة السابعة عشرة: أن الله يمتحن أوليائه قبل الفرج ليظهر صدقهم وصبرهم

بقي يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - في السجن بضعة سنين بعد أن صدق في التأويل ونصح في الدعوة، وكان صبره في ذلك برهاناً على صفاء قلبه وصدق عبوديته.

فمن أراد رفعة يوسف، فليصبر صبر يوسف، فإن التمكين لا يُعطى إلا بعد تمحيص.



الفائدة الثامنة عشرة: أن الدعوة إلى الله واجبة في كل حال

يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - لم يمنعه السجن من الدعوة، بل جعل من جدران السجن منبراً للتوحيد، ومن رفقائه في القيود طلاباً للهداية. وهذه من دلائل الصدق في الدعوة؛ أن العبد لا ينتظر منبراً أو جمهوراً، بل يدعو حيث أقامه الله، فالعزيمة الصادقة لا تُقيدها الجدران، ولا يُوقفها البلاء، بل تثمر في أحلك المواطن.

الفائدة التاسعة عشرة: أن من صدق مع الله جعله الله سبباً لهدايته غيره

لقد رأى السجينان في يوسف أثر النور والإحسان، فاسترشدوا به في أمر الرؤيا، وكان ذلك باباً لهدايتهم إلى التوحيد. وفي هذا بيان أن المؤمن الصادق يكون بركته ممتدة: يُعَلِّمُ بعلمه، ويهدي بأخلاقه، ويؤثر بسلوكه، حتى دون أن يقصد، لأن الله يجعل له نوراً يمشي به بين الناس.

الفائدة العشرون: أن الله يكتب الفرج لعباده بأسباب لا تخطر ببال

كان تفسير يوسف لرؤيا السجين سبباً في خروجه بعد سنين، وفي تمكينه من الملك لاحقاً، فسبحان من جعل طريق الفرج يبدأ من منام في ظلمة السجن!

وفي هذا عبرة عظيمة: أن الله يُدبِّرُ أمور عبده من حيث لا يشعر، وأن ما يراه الإنسان تفصيلاً صغيراً قد يكون بدايةً لتغيير عظيم في حياته.





قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٢١﴾ [يوسف: ٢١].





قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ﴾ [يوسف: ٣٦].

أولاً: رمزية العصر والخمر

«العصر» في المنام يُعبّر عن استخراج المنافع من المكاره، والانتفاع بالجهد والعمل، كما تُستخرج الخمر من العنب بعد عصره. وأما الخمر نفسها فهي في الرؤيا رمزٌ للجاه والمنزلة والفرح والنعمة إذا جاءت في سياقٍ محمود، لأنها كانت شراب الملوك وأهل الرفعة في الأمم السابقة، وقد جاء في رؤيا الساقى أنها دلت على عودته إلى عمله في خدمة الملك وسقيه له بيده.

ولهذا قال يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۚ﴾. فكانت الخمر دلالةً على الولاية والكرامة والعودة إلى الخدمة بعد السجن.



لكن يجب التنبيه إلى أن الخمر في أصلها من رموز الفساد والشرور والمعاصي، لأنها تُعَيِّبُ العقل الذي هو مناط التكليف، وتفتح أبواب السوء والجرائم، وقد جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (١)

فإذا وردت في المنام على وجه الشرب أو اللهو أو التلذذ بها، كانت تأويلاً سيئاً يدل على المعاصي، وارتكاب الفواحش، وضياع العقل والدين.

وأما إذا وردت في سياقٍ محمودٍ كالذي في رؤيا الساقى، فالعبرة بالمعنى الذي دلت عليه لا بذاتها، إذ كانت إشارة إلى الخدمة والولاية لا إلى شربها أو استحلالها.

وقياساً على ذلك: «من رأى أنه يعصر خمراً أو عنباً، وكان في همٍّ أو بلاءٍ»، فرَّج الله عنه، و«إن كان موظفاً أو خادماً» عاد إلى عمله أو ارتقى فيه، ما لم يكن في رؤياه ما يدل على الفساد أو اللهو، فإنها حينئذٍ تؤول على وجه الذم والضلال، لأن الخمر محرمة في شريعة الإسلام، وما حُرِّم في اليقظة لا يُمدح في المنام إلا من جهة رمزيته في الخير دون ذاته.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٨١٠) وحسنه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤ / ٤٦٩).

تنبيه لكل معبر

ينبغي على المعبر أن يفرّق بين رموز الرؤى في شرائع الأمم السابقة وبين ما تدل عليه في شريعة الإسلام، فإن الرؤيا لا تفهم بمعزلٍ عن ميزان الشرع والعقيدة. فقد يكون الرمز في زمنٍ من الأزمنة دالاً على الخير والرفعة، ثم يصير في شريعتنا محرّماً مذموماً، فلا يُمدح بحاله بل يُفهم على وجهٍ آخر يناسب حكمه الشرعي.

فـ الخمر – مثلاً – كانت في الأمم الماضية من شراب الملوك وأهل الثراء، فناسب أن تدل في رؤيا الساقى على الخدمة والولاية، أما في شريعتنا فهي رجسٌ من عمل الشيطان، لا خير فيها إلا من حيث المعنى الرمزي إن دلّ على نفع دنيويٍّ أو منزلةٍ مباحة.

فمن جهل هذا الأصل ضلّ في التعبير، فمدح ما هو مذموم، وأوّل الباطل تأويل الحق.

وإنما يهتدي إلى الصواب من رزقه الله فقهاً في الدين وبصيرةً في المعاني، فيزن الرؤى بميزان العلم والشرع، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥).

قاعده في تأويل المحرّمات

الأصل في المحرّمات الشرعية أنها لا تُرى في المنام إلا على وجه التحذير أو الإنذار أو التذكير، لأنّ ما كان حراماً في اليقظة فهو قبيح في



المنام، إلا أن يدلّ على معنى آخر مجازيٍّ من الخير، فحينئذٍ يُؤوّل بحسب القرائن لا بحسب الظاهر.

فمثلاً: الخمر قد تُعبّر أحياناً بالولاية أو النعمة، لا لمدحها، ولكن لما فيها من اجتماع القلوب ولذة التمكن، والزنا قد يُعبّر باختلاط الأمور أو خيانة الأمانة، لا لمدح الفاحشة، والربا قد يدل على النماء الفاسد أو الزيادة في الحرام، والسرقعة على اغتنام الفرص بغير وجهها المشروع، وهكذا سائر المحرمات.

فالقاعدة أن المعبر ينظر إلى المعنى دون الظاهر، ويُنزّل الرؤيا على ميزان الشرع والعقل، فلا يُحمّلها ما يخالف أصول الدين، ولا يُبرّر بها معصية، لأن الرؤيا تبشيرٌ أو إنذارٌ أو تذكيرٌ، لا تشريعٌ ولا تحليلٌ ولا تحريم.

ثانياً: رمزية الخبز

«الخبز» في الرؤيا رزقٌ ومعاشٌ، لأنه قوام البدن، ويُعبّر بما يغتذي به الإنسان من مالٍ أو علمٍ أو عملٍ. ومن حمله فوق رأسه، دلّ ذلك على تحمّل الكدّ والمعاش بمشقة، لأن الرأس موضع التدبير. فإن أكل الطير منه، فذلك زوالٌ في الرزق أو هلاكٌ للرائي، على قدر موضع الطير وعددها.

وفي رؤيا السجين دلت هيئة الخبز المأكول على أنه رزقٌ لم يُصب،



وأن الطير -وهي آفاتٌ في الرؤيا- دلت على الهلاك والصلب، لأن الطير لا تأكل من الرأس إلا بعد موت صاحبه.

ولهذا قال يوسف -عليه السلام- في تعبيرها: ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾، فوافق الواقع كما أنبأه الله به.

ثالثاً: رمزية الرأس

«الرأس» أصل الإنسان، وبه يُعبّر عن الرياسة والعقل والتدبير، فما أصابه في المنام أصاب صاحبه في دينه أو دنياه. ومن حُمِل عليه رزق أو خبز فذلك تكليفٌ وهمٌّ وتدييرٌ في المعاش، فإن نُقِر أو نهش من رأسه طيرٌ أو سبع، أصابه أذى من سلطان أو موت. ولهذا جاء في رؤيا السجين: أن الطير تأكل من رأسه، فكان ذلك دلالة الموت بعد رفعه على خشبة، لأن المصلوب يُعرّض رأسه للهواء والطيور.

رابعاً: رمزية الطير

«الطير» في الرؤيا تُعبّر بالروح، والآجال، والأخبار، والملائكة، والأرزاق، بحسب سياقها. فإن كانت آكلةً من شيءٍ فذلك هلاك أو فساد، وإن كانت محلقةً فهي بشارة.

وقد دلت في رؤيا السجين على انقضاء الأجل، لأن الطير لا تأكل إلا



من الجسد الهامد.

وفي هذا تنبيهٌ إلى دقة تعبير يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، إذ فهم من الطير - مع كونها مخلوقاً لطيفاً - دلالة الموت، لأن المقام كان مقام عقوبةٍ في السجن، فكان التأويل على ذلك السياق.

خامساً: رمزية السجن والنجاة

«السجن» في المنام ضيقٌ وبلاء، وقد يُعبر بالدينا نفسها، لأنها دار كدرٍ وامتحان، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» (١)

فخروج الرائي من السجن يدل على الفرج بعد الكرب، والنجاة بعد الخوف، كما وقع ليوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، إذ كانت رؤيا صاحبه الساقى سبباً في خلاصه ورفعته.

وأما المكث فيه، فهو تأديبٌ أو تمحيصٌ أو انتظار فرجٍ قريبٍ.

سادساً: رمزية السقاية والملك

«السقاية» في المنام ولايةٌ أو خدمةٌ لأهل الجاه، لأن الساقى يقف على رؤوس القوم، ويُبشر الشراب بيده، وهي منزلةٌ عالية في مجالس الملوك. ولهذا جعل يوسف الساقى في الرؤيا دليلاً على نجاته وعودته إلى مكانه عند الملك، بخلاف الآخر الذي فُسر بالهلاك.

(١) رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٩٥٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وفي هذا دليل على أن الرؤيا قد تُفرّق بين شخصين اشتركا في الحال والمكان، لكن اختلفا في الباطن، كما اختلف السجينان في نصيهما عند الله.

القياس في رموز رؤيا السجينين

تجلّى في تأويل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لرؤيا السجينين أرفعُ صورِ الفهم القياسي في علم التعبير، إذ لم يعتمد على ظاهر الصور المنامية وحدها، بل نظر في رموزها ومناسباتها ومقاصدها، فجمع بين العلم والفراسة والإلهام.

فقد رأى أحدهما أنه يعصر خمراً، والآخر يحمل خبزاً تأكل الطير منه، فاستنبط يوسف من الأولى عودة صاحبها إلى عمله في خدمة الملك وسقيه، لأن العصر يدل على استخراج المنفعة من الشيء، والخمر شراب الملوك، والسقاية خدمة شريفة لهم.

وأما الثاني، فحمله الخبز على رأسه وأكل الطير منه، دلّ عنده على هلاكه، لأن الخبز رزقٌ مأكول، والرأس موضع التدبير، والطير إذا أكلت من الرأس فذلك موتٌ وذهابٌ عقلٍ وتدبيرٍ معاً، فكان ذلك القياس دقيقاً موافقاً للواقع.

وهذا من فقه التأويل؛ إذ العابرُ الحاذقُ ينظر إلى المعنى المشترك بين الصورة والرؤيا: فما كان من جنس الخدمة والانتفاع دلّ على الولاية، وما كان من جنس الإتلاف والهلاك دلّ على ضدها.





وكذلك كانت طريقة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، يربط بين الرمز وأصله،
والمشهد ومغزاه، فينقل المعنى من الحسّ إلى الحكمة.

ولهذا كان علمه بوحى وإلهام، لا بمجرد الظنّ والتخمين، كما قال
تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾.

وقال في شأنه: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾.

فمن أراد أن يسلك سبيل يوسف في التعبير، فعليه أن يقيس الرمز على
ما يناسبه من حقائق الشرع والعقل والعادة، لا على الهوى والظنّ، فينظر
في كل رؤيا إلى طبيعة صورها، ومقام الرائي، وسياق الزمان والمكان، فإن
التعبير فرغٌ على العلم والفهم، لا على الحدس والتخمين.

وهكذا يكون القياس في رموز الرؤى: جمعاً بين المعاني والأشباه
والنظائر، على نهج يورث البصيرة في هذا الفن الجليل.



الباب الخامس: الفوائد المستفادة من قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

هذه الرؤيا كانت سبباً في إظهار فضل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، وإعلان علمه، وتمكينه في الأرض بعد طول البلاء. وفيها من دقائق الرموز وبديع التناسب بين اللفظ والمعنى ما يدل على أن الرؤيا الصادقة من عند الله، وأنها قد تفتح أبواباً من الخير العام للأمم. وقد اشتملت هذه الرؤيا على فوائد عظيمة في التعبير والتدبير والسياسة والإيمان، نذكر منها فيما يلي:

الفائدة الأولى: أن الرؤيا الصادقة قد تكون سبباً في نفع الأمم كلها

يُستفاد من هذه الآية أن الله سبحانه قد يجعل الرؤيا الصادقة سبباً في إنقاذ أمةٍ بأكملها من البلاء والهلاك، كما جعل رؤيا الملك مقدمةً لنجاة



مصر من المجاعة وظهور فضل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -. فكم من رؤيا جعلها الله مفتاحاً للفرج أو بشارةً للعباد، إذ هي من رحمة الله ولطفه بخلقه، يطلعهم بها على ما فيه نفعهم ودفع الضر عنهم.

وقد دلّت هذه القصة على أن الرؤيا الصادقة قد تكون طريقاً من طرق الإلهام الرباني الذي يوجه الخلق إلى الخير، ولو كان الرائي كافراً، فإن الملك لم يكن مؤمناً، ومع ذلك صدقت رؤياه، فكانت باباً للخير العام ومفتاحاً للتمكين ليوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

الفائدة الثانية: أن الله يُجري الخير على لسان من يشاء ولو كان كافراً

يُستفاد من الآية أنه يُجري سبحانه النفع على يد الكافر لحكمةٍ بالغة، كما أجرى رؤيا الملك، فجعلها سبباً للفرج العام وتمكين الصالحين.

فالله تعالى رب الجميع، يهدي من يشاء، وينفع من يشاء، وقد جرت سنته أن يُخرج من بين أيدي أهل الكفر ما ينفع المؤمنين، ليظهر أن الملك لله وحده يؤتية من يشاء وينزعه ممن يشاء.

وفي هذا درس للمؤمنين أن الخير ليس مقصوراً على أيديهم، بل هو فضل الله يؤتية من يشاء، وأن العبرة ليست بمن رأى أو نطق، بل بمن فُتح له في الفهم والعلم والإيمان، كما فُتح ليوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - دون سائر المعبرين.



الفائدة الثالثة: أن الرؤيا الصادقة قد تكون إنذاراً مبكراً من الله لعباده

يُستفاد من هذه الآية أن الله قد يُري عباده في منامهم ما يكون تنبيهاً لهم قبل وقوع البلاء، كما أنذر الملك بقحطٍ عظيم قبل سبع سنين، فتهيأ الناس لذلك، فكانت الرؤيا بمثابة إنذار رحيم من الله قبل وقوع العقوبة. وهذه سنة ربانية جارية؛ أن الله يُمهّل عباده بالعلامات، ويوقظهم بالرؤى الصادقة لتكون سبباً في التوبة أو التدبير أو الاستعداد.

فالرؤيا هنا كانت رسالة من الله إلى أهل مصر، غير مباشرة، لكنها مليئة بالحكمة والعظة، وفيها دليل على لطف الله بخلقه، وأن رحمته تسبق غضبه، إذ نبههم قبل أن تنزل بهم الشدة، ووجههم إلى الأخذ بالأسباب لتفادي البلاء.

الفائدة الرابعة: أن علم التعبير منحة ربانية لا تنال بالحيلة

في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٌ فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

إشارة إلى أن علم التعبير ليس صنعةً يكتسبها كل أحد، ولا هو علم يُنال بالذكاء والتمرين وحده، بل هو نورٌ يقذفه الله في قلب من شاء من عباده.

فالملك دعا أهل العلم من خاصته فلم يجد عندهم تأويلاً، لأنهم لا يملكون هذا الفتح، ولو كان الأمر يؤخذ بالتجربة والذكاء لسبقوا إليه،





لكن الله اختص يوسف به منةً وفضلاً، ليعلم أن التأويل الصحيح وحي وإلهامٌ وسدادٌ من الله، لا خيالٌ أو حدسٌ بشريٌّ مجرد.

الفائدة الخامسة: أن الله يُظهر عباده المخلصين في الوقت الذي يشاء

لقد تأخر خروج يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - من السجن سنين طويلة، حتى جاءت هذه الرؤيا، فكانت سبباً في إظهاره وإكرامه.

فدّل ذلك على أن ظهور المخلصين له وقت يقدره الله بعلمه وحكمته، وأن العبد لا ينبغي أن يستعجل فرجه، فرب رؤيا واحدة تُبدل حاله، كما فعلت رؤيا الملك بيوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -.

فالرب سبحانه يدبر أمر عبده من حيث لا يشعر، فإذا آن الأوان أخرجه من الضيق إلى السعة، ومن الخفاء إلى الظهور، ومن المحنة إلى التمكين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾، وهذه الرؤيا كانت إحدى مظاهر هذا البلوغ الإلهي في تدبيره العجيب.

الفائدة السادسة: أن الله يُمهّد للفرج بأسباب لا تخطر على بال

إن من يتأمل قصة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - يجد أن هذه الرؤيا كانت بداية الانفراج بعد سنين السجن، ومع ذلك لم تكن من فعله ولا من سعيه، بل من تدبير الله الذي قدر أن يرى الملك رؤيا عظيمة فتكون سبباً في إظهار يوسف وتمكينه.

ففيها دلالة على أن الله يُقدر الفرّج بأسبابٍ بعيدةٍ عن ظنّ العبد



وتدبيره، وأن رحمته تأتي من حيث لا يحتسب، وأن ما يراه الناس صدفة هو في الحقيقة حكمة مكتوبة.

فسبحان من جعل المنام طريقاً للملك، والملك طريقاً للسجن، والسجن طريقاً للتمكين، ليُعلم أن الأمر كله لله، يُعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء وهو على كل شيء قدير.

الفائدة السابعة: أن التمكين ثمره العلم والإخلاص والصبر

يُستفاد من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦]

أن التمكين لا يُنال إلا بعد الابتلاء والصبر والإخلاص، وأن العلم وحده لا يرفع صاحبه حتى يُزكّيه العمل والنية.

فقد كان يوسف عالماً مفسّراً، لكنه لم يظهر حتى تبين صدقه وعفته وصبره على البلاء، فاستحق الاستخلاص والتمكين.

ولم يخرج من السجن طلباً للدنيا أو جاهاً، بل دفاعاً عن نراهته، فرفعه الله فوق من خاناه وكاد له.

ومن تأمل سنن الله وجد أن كل تمكين حقيقي لا يكون إلا بعد تربية إلهية وصبر جميل وعمل نبيل، وهكذا رفع الله يوسف بعد ما امتحنه وطهره.



الفائدة الثامنة: أن الإخلاص والعفاف يرفعان العبد فوق الملوك

لما قال الملك: ﴿أَتُنُونِي بِهِ أَتَخْلُصُهُ لِنَفْسِي﴾، دل ذلك على أن العبد المخلص العفيف يُرفع قدره عند الناس وإن لم يسعَ لذلك، لأن القلوب مفطورة على تعظيم الصادقين والأمناء.

ويوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - لم يسعَ إلى الظهور ولا طلب العزَّ، ولكن الله أظهره على ألسنة خصومه وشهد له أعداؤه بالبراءة والفضل. وفي ذلك درس عظيم لأهل العلم والدعوة أن العزَّ لا يُنال بالتسلق ولا بالتملق، بل بالصدق والعفاف والإخلاص لله، فمن صفَّى صفَّى الله له، ومن تزَيَّن للناس خذله الله.

الفائدة التاسعة: أن الله يُظهر أوليائه في الوقت الذي يشاء

يُستفاد من قصة رؤيا الملك أن الله لا يُعَجِّل بتمكين عباده قبل أوانه، وإنما يُخفيهم لحكمةٍ، حتى إذا آن الأجل أظهرهم في أحسن موطن وأكرم حال.

فقد مكث يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - في السجن سنين لا يُذكر، حتى جاءت ساعة الظهور عند رؤيا الملك، فخرج مكرِّمًا عزيزًا.

وهذه سُنَّة الله في أوليائه، يُعَدِّهِم في الخفاء وَيُرِييهِم في الابتلاء، ثم يُخرجهم ساعة الحاجة ليُصلح بهم البلاد والعباد، فيكون ظهورهم رحمةً لا فُتنة، وتمكينهم نعمةً لا نقمة.



الفائدة العاشرة: أن الله يُجري المقادير بحكمة دقيقة لا يراها العبد

إن أعجب ما في هذه القصة أن الأحداث كلّها تسير في خفاء مترابط: رؤيا الملك، نسيان الساقى، طول السجن، ثم التذكّر المفاجئ. كلّها خيوط خفية تنسج لوحة الفرج. وهذا دليل على أن التدبير الإلهي محكمٌ دقيق، لا يُدرك العبد وجه حكمته إلا بعد تمامها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾، أي: يُدبّر أمر عبده بلطفٍ خفيٍّ لا يشعر به إلا بعد حين. فليطمئن الموقن بربه، فإن تأخر الفرج فبسبب ترتيبٍ أحكم وأعظم مما يتصوّر.

الفائدة الحادية عشرة: أن الله يُعزّز من يشاء بأضعف الأسباب

العزّ الحقيقي ليس بالمناصب، بل بتقوى الله والعلم والعمل. ومن تأمل القصة وجد أن الله جعل وسيلة تمكينه على خزائن الأرض رؤيا رآها كافر، وكلمة قالها ساقٍ، فدلّ ذلك على أن القدرة الإلهية تُقيم الموازين بغير ما يظنّ الناس، وترفع الصادقين بأهون سببٍ ليظهر أن الأمر كله لله وحده.

الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا الصادقة باب من أبواب الفتح الرباني

لقد كانت هذه الرؤيا سبباً في الفتح الإلهي العظيم، إذ بها فُتح باب الملك والتدبير ليوסף، وأُري الناس كيف أن الإلهام الصادق يُثمر عملاً



صالحًا وتخطيطًا رشيدًا.

فالرؤيا الصادقة إذا جاءت من الله وأولت بعلم وإيمانٍ كانت نورًا يُهتدى به في الظلمات، فعن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:

«لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ».

قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟

قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» (١).

فهي منحة ربانية يُكرم الله بها من يشاء من عباده.

الفائدة الثالثة عشرة: أن التدبير الصالح نعمة عظيمة من الله

في تأويل يوسف للرؤيا علّم الله يوسف كيف يربط الرؤيا بالواقع، فصار علمه علم تدبير وإنقاذ لا مجرد تفسير. وهذا درسٌ للدعاة وأهل العلم أن الدين ليس شعورًا مجردًا، بل وعي بالواقع، وحكمة في الإصلاح، وأن الله يحب من عباده أن يُحسنوا العمل كما يُحسنون النية.

الفائدة الرابعة عشرة: أن العلم الراسخ يُثمر العمل النافع

يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يكن عالمًا بنظرية مجردة، بل كان علمه عمليًا يثمر نفعًا للأمة.

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٩٩٠).

❖ - الرَّوضُ الْأَنْفُ - ❖ = ١١٦ = ❖ - فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالتَّوَالِيلِ ❖

فالتعبير عنده لم يكن ألفاظاً بل سياسة (١) واقعية، فجمع بين العلم والقدرة، والفهم والتنفيذ.

وهذا من كمال العلم؛ أن يتحوّل إلى نفعٍ للخلق، لا أن يبقى حبيس الأوراق والمناظرات.

ومن علامات صدق العالم أن ينفع بعلمه كما نفع يوسف، إذ حوّل علم التّأويل إلى واقع أنقذ أمةً بأكملها.

الفائدة الخامسة عشرة: أن الصدق والإتقان يفتحان القلوب المغلقة

لقد رأى الملك في يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - صدقاً وهيبةً وأمانةً، فاطمأن إليه، وجعله على خزائن الأرض.

فدلّ ذلك على أن القلوب مجبولة على تعظيم الصادقين، وأن الإتقان في العمل مع صفاء النية هو أعظم وسيلة لقبول الناس وإصلاحهم. فلا يحتاج الداعية إلى تكلفٍ ولا مكرٍ إذا كان صادقاً، فإن الصدق سلطان القلوب، ومفتاحُ القبول عند الله والخلق.

الفائدة السادسة عشرة: أن التمكن نعمتٌ تطلب لشكر الله لا للدنيا

إن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - لما مُمكّن في الأرض لم يطغ ولم يتكبر، بل نسب الفضل إلى الله، واستعمل سلطانه في الخير.

(١) وإنما عبرت بهذا لما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ» رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٥)



فالتمكن عند المؤمن عبادةً جديدة، يعبد الله بها في موضع القدرة كما عبده في موضع الضعف.

أما من جعل الملك غايةً للعالم فقد خسر.

فالعبرة ليست بالملك بل بما يفعل به، كما قال بعض السلف: «الابتلاء بالنعمة أشد من الابتلاء بالضراء».

الفائدة السابعة عشرة: أن الرؤيا لا تقع عند أول عابر إذا لم يُصب في تأويلها

وهذه قاعدة جليّة من قواعد هذا العلم، قل من فهمها على وجهها، وكثر فيها الغلط والخلط بين الناس، حتى ظن كثير من العامة وبعض طلاب العلم أن الرؤيا تقع عند أول من عبّرها، ولو أخطأ في تأويلها. والحق أن هذا الفهم باطل، إذ لا تقع الرؤيا إلا إذا كان تعبيرها صحيحاً موافقاً لأصول التأويل وقواعد هذا الفن، أما إن أخطأ المعبر في تأويلها، فليس لكلامه أثر في وقوعها البتة، لأن الله لا يُجري المقدور على الباطل، ولا يربط الكائنات بالتخمينات.

فالتعبير علم يحتاج إلى بصيرة شرعية، وإدراكٍ لمدلولات الرموز، ومعرفةٍ بفقهِ اللغة والحديث، وتأمّلٍ في كلام السلف والمفسرين، لا أن يُتكلف بلا علم فيفسد ولا يُصلح.

ولهذا قال الإمام البخاري - **رَحِمَهُ اللهُ** -: «باب من لم ير الرؤيا لأول عابر»، أي إذا لم يُصب في تأويلها، مستدلاً بحديث ابن عباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** أن أبا بكر الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** لما عبّر رؤيا بين يدي النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**



قال له النبي ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» فدل ذلك على أن وقوع الرؤيا إنما يكون في الجزء الذي أصاب فيه، دون ما أخطأ، ولو كانت تقع لأول عابرٍ مطلقاً لما كان لبيان النبي ﷺ معنى.

وبهذا صرح الإمام النووي في «شرح مسلم» (٢٩/١٥) فقال: «وفي هذا الحديث جواز عبْر الرؤيا، وأن عابرها قد يُصيب وقد يُخطئ، وأن الرؤيا ليست لأول عابرٍ على الإطلاق، وإنما ذلك إذا أصاب وجهها» اهـ

قلت: شاهد ذلك أيضاً رؤيا ملك مصر المتقدمة، إذ عرضها على الملاء أولاً، ﴿قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحَلْمُ﴾ [يوسف: ٤٤].

فلم يقع تأويلهم، فلما عرضت على يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، وهو النبي الموحى إليه، أولها على وجه الصواب، ف وقعت كما قال.

فثبت بهذا أن الرؤيا لا تقع لأول من فسرّها إلا إذا أصاب في تأويلها، وأن الخطأ في التعبير لا يترتب عليه أثر في القدر، وإنما يجري القدر على الصواب والحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾، فكان ما عبّره يوسف هو الذي وقع كما أوحى الله إليه.

فليتق الله من يتصدر لتعبير الرؤى، ولا يتكلم إلا بعلمٍ وتمكّن، فإنها أمانة، ومن الخطأ أن تُجعل وسيلة للتكلف والحدس، أو مطمعاً لطلب



الشهرة والدنيا، فالتعبير الصادق لا يكون إلا لمن رزقه الله نور الفهم والتوفيق، والله المستعان.

الفائدة الثامنة عشرة: أن تعبیر الرؤيا فتوى

يُستفاد من قوله تعالى في قصة الملك: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ [يوسف: ٤٣]، أن تعبیر الرؤيا في ميزان الشريعة فتوى، لأن الله سَمَّى التعبير «فتياً»، ولم يسمّه حكاية ولا تخميناً.

وفي هذا بيانٌ لعِظم شأن المعبر وخطورة موقعه، إذ هو يُفتي عن مراد الله في رؤيا عبده، فينبغي أن يكون عارفاً بالأصول، راسخاً في العلم، متورعاً عن القول بغير علم.

فالتعبير حكمٌ على معنى غيبيّ يُطلب فيه الصواب كما يُطلب في الأحكام الشرعية، ولهذا كان السلف يهابون القول في الرؤيا كما يهابون الفتوى، ومن تأمل هذا اللفظ القرآني علم أن المعبر مفتٍ بلسانه، مُوقَّعٌ عن علم الله فيما يُظهر لعباده، فلا يحلّ له التسرع ولا التكلف، فإن الرؤيا على جناح طائر ما لم تُعبر، فإذا عبّرت وقعت، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (١).

فواجب المعبر أن يستحضر مقام الفتوى، ويتورع عن التقول والظن، ويجعل علمه وسيلةً للهداية لا وسيلةً للرياء أو التكبسب، فالعلم إنما يُبارك فيه إذا صَحَّت النية واستقام القصد.

(١) تقدم (ص: ٤٨).



❖ - الرَّوْضُ الْأَنْفُ - ❖ ﴿١٢٠﴾ ❖ - فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالتَّأْوِيلِ ❖

قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «مجموع الفتاوى» (١٧/٤٠٣) :-
فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعِلْمَ بِتَأْوِيلِ الرَّؤْيَا أَصْعَبُ مِنَ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْكَلَامِ الَّذِي يُخْبَرُ
بِهِ، فَإِنَّ دِلَالََةَ الرَّؤْيَا عَلَى تَأْوِيلِهَا دِلَالََةُ خَفِيَّةٍ غَامِضَةٍ لَا يَهْتَدِي لَهَا جُمْهُورُ
النَّاسِ؛ بِخِلَافِ دِلَالََةِ لَفْظِ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهُ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ عَلَّمَ عِبَادَهُ
تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَرَوْنَهَا فِي الْمَنَامِ فَلَا أَنْ يُعَلِّمَهُمْ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ
الْمُبِينِ الَّذِي يُنَزِّلُهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخَرَى، قَالَ يَعْقُوبُ
لِيُوسُفَ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [سورة
يوسف: ٦].

وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف: ١٠١].

وَقَالَ: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾
[سورة يوسف: ٣٧]. اهـ

وقال الإمام السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «تفسيره» (ص ٤١٠) :-
ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على
تعلّمه وتعليمه، وأن تعبير المرائي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿قُضِيَ
الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿٤١﴾ [يوسف]، وقال الملك: ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾
[يوسف: ٤٣]، وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٦]،
الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم. اهـ
قلت: فإذا علمنا أن تعبير الرؤيا علم، وأنه صعب على من لم يحسنه،



فلا يجوز الإقدام والخوض فيه إلا بفهم، وإلا فالإجابة فيه تعتبر فتوى، والدليل قول الله - في ذكر يوسف بعد تفسيره للسجينين - : ﴿قَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٤١) [يوسف]، وقوله تعالى عن رؤيا الملك: ﴿بَتَّانِيهَا أَلَمْلَأُ فُتُوكَ فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمُ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) [يوسف]، وقوله سبحانه عن أصحاب السجن: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦] الآية.

فدلت هذه الآيات على أن تفسير الأحلام يعتبر فتوى. والفتوى معناها إجابة السائل عما أشكل عليه في أمره وما حيره في مسأله، فهو يطلب من المفتي أو ممن جاء إليه أن يبين له الحكم، أو يزيل عنه ما جهله من الأمور والقضايا، سواء ما رآه في منامه أو جهله وحيره في يقظته، وهذا شامل في تفسير الأحلام وغيرها وبالله التوفيق.

قال ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٣٨):
ذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ، فِي كِتَابِ «الْمَجَالِسِ» قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا، يَقُولُ:
يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَأْلَفَ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ قَوْلَ: لَا أَدْرِي فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يُهَيَّأَ لَهُ خَيْرٌ.

قال ابن وهب: وَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: لَا أَدْرِي.
وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: لَوْ كَتَبْنَا عَنْ مَالِكٍ: لَا أَدْرِي لَمَلَأْنَا الْأَلْوَاحَ.
قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: وَسَمِعْتُ مَالِكًا، وَذَكَرَ قَوْلَ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ: لِأَنَّ
يَعِيشَ الْمَرْءُ جَاهِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَبُو



بَكَرِ الصَّدِيقُ وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّهُ مِنَ الْفَضْلِ يَقُولُ: لَا أَدْرِي.
وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: وَحَدَّثَنِي مَالِكٌ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - «إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدُ الْعَالَمِينَ يُسَأَلُ عَنِ الشَّيْءِ فَلَا
يُجِيبُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ». اهـ

الفائدة السابعة عشرة: أن علم التعبير لا يؤخذ بالتجربة المجردة، بل بالفقه في الدين

إن علم تعبير الرؤى ليس من العلوم التي تُنال بكثرة التجارب أو
بسماع قصص الناس، وإنما هو علم له أصول شرعية، ومعانٍ دقيقة لا
يُدرِكها إلا من فقه كتاب الله وسنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وغيرها من
الأصول.

فالرؤيا كلامٌ رمزيٌّ من الله إلى عبده، لا يفقه أسرارهِ إلا من أعطي نور
الفقه في الدين، ولهذا قال يوسف - **عَلَيْهِ السَّلَام** - للسجينين: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا
طَعَامٌ تَرْزُقَانِهِ إِلَّا لَنَبَأُكُمَا بَأْوِيلَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [سورة
يوسف: ٣٧].

فبيّن أن علمه بالتأويل إنما هو وحْيٌ وتعليمٌ من الله، لا محض تجربة
بشرية.

ومن الخطأ الشائع أن يظن بعض الناس أن هذا العلم يجوز الكلام فيه
والجراة، فيفسّر ما لا يعلم، وربما أفسد على الناس دينهم ومعاشهم وهذا
جناية وإثم وإنما يُؤخذ هذا العلم من الراسخين فيه، الذين جمعوا بين
الحديث والفقه واللغة، وغيرها وعرفوا أصول التعبير وأدلتها، كما كان





شأن ابن سيرين، ومجاهد، وسعيد بن المسيّب، وغيرهم من أئمة هذا الفن.

فالعلم في الرؤيا كالفتوى في الأحكام، لا يؤخذ عن كل أحد، بل من نور الله الذي يقذفه في قلب عبده الموفق، والله يختص برحمته من يشاء.

فيُستفاد من قول يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]، ومن قوله تعالى بعد تأويل رؤيا الملك: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٥٦].

أن علم التعبير ليس ثمرة ذكاء بشريٍّ مجرد، بل هو موهبة ربانية وفضل إلهي يختص الله به من شاء من عباده.

فالعلم في الرؤيا نوع من الإلهام، يُفتح به على قلب العبد فيفقه به الرموز والمعاني كما يفتح الله على الفقيه في النصوص، ولهذا قال الله عن يوسف: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٦].

فليس في هذا الباب مجالٌ للدّعاء المجرد للإلهام، لأن العلم نور، والنور لا يُنال إلا بالتقوى والصدق والإخلاص.

ومن رزقه الله هذا الفهم فليعلم أنه مؤتمن على عطية من عطايا الوحي، فينبغي له أن يُظهر شكرها، ويصرفها في نصح الخلق، وأن لا يجعلها مطيّةً للدنيا أو الرياء أو جمع الأتباع، فإن هذا العلم الشريف إنما يزكو إذا صَفَتِ النية واتصل القلب بربه.



وهكذا كان يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، كلما نُسب إليه علم أو فضل قال: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، إقرارًا بأن الفضل لله وحده، لا له، فرفع الله قدره وأتمَّ عليه نعمته، وجعل علمه سببًا لنجاته وتمكينه، رحمةً للعالمين.

الخلاصة

خُتِمَت القصة بتمكين يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، بعد طول صبرٍ وابتلاءٍ، لِيُعْلَمَ أن الوعد الإلهي لا يتخلف، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين. فما بين الجبِّ والسجن والملك إلا مراحل تربيةٍ وامتحانٍ وصبرٍ جميلٍ أثمر العزَّةَ والتمكين. ومن تأمل سيرة يوسف أيقن أن الصدق والإخلاص هما جناحا الرفعة، وأن من رضي بتقدير الله في البلاء أكرمه الله بالعزِّ في العاقبة. ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.



الباب السادس: رموز رؤيا الملك وتعبيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

أولاً: رمزية البقر

«البقر» في الرؤيا يُعبر بالسنين، كما فسرهما يوسف -عليه السلام-، لأن البقر مما يُحرث عليه ويُستعمل في أعمال الأرض، وهي أصل المعاش والزراعة.

و«السَّمان» منها دليل على الخصب والرخاء والوفرة، والعجاف على الجذب والقحط والفقر، ولهذا قال يوسف -عليه السلام-: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٧].

وقياساً على ذلك: «من رأى بقرًا سمينًا داخلًا بلده، أو داخلًا عليه»، دلّ على سنين خصب ورزق، و«إن رآها هزيلةً أو ميتةً»، دلّ على قلة



الزراع والمطر.

و«من رآها تأكل بعضها بعضًا»، فذلك تتابع في الجذب بعد الرخاء، أو فساد في الرعية بعد صلاح.

ثانيًا: رمزية الأكل

الأكل في المنام يدل على الاستهلاك والذهاب بالنعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

فكانت هذه الصورة رمزًا دقيقًا لانتهااء الأعوام الخصبة بالسنوات المجدبة التي تلتهم ما قبلها من الخير. وقياسًا على ذلك: «من رأى في منامه شيئًا يأكل مثله أو يفنيه»، دل ذلك على ذهاب البركة، أو نكبة بعد رخاء، أو بلاء يلتهم ما كان من خير، فيقاس المعنى بحسب المشهد وسياق الرؤيا.

ثالثًا: رمزية السنابل

«السنابل» في المنام دالة على الزرع والرزق والعطاء، وقد جعلها يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مقياسًا للسنين لما فيها من النمو والادخار. ف«السنابل الخضرة» ترمز إلى الخير والنماء والبركة، و«اليابسات» إلى الجذب والنقص والفناء.

وقياسًا على ذلك: «من رأى سنابل خضراء كثيرة»، نال وفرة في الرزق



أو نجاحًا في عمله، و«من رآها يابسة أو محترقة»، دلّ على قحطٍ أو مرضٍ أو ضيق رزق، و«من رآها تُخزن في بيوت أو صوامع»، فهي إشارة إلى الادخار والتدبير الحسن.

رابعًا: رمزية الخضر واليبس

الخضرة في الرؤى حياةٌ ونعمة وبركة، واليبس موتٌ أو ضياعٌ أو انقطاع.

وقد جمع الله بينهما في هذه الرؤيا ليبين تقلب الأحوال، وأن دوام النعم لا يكون إلا بشكرها.

وقياسًا على ذلك: «من رأى أرضًا خضراء انقلبت يابسة»، دلّ على زوال نعمةٍ أو تبدل حال، و«من رآها بالعكس»، دلّ على فرجٍ بعد شدة، أو هدايةٍ بعد ضلال.

فالمعنى يُقاس دائمًا على تحول الحال بين النمو والذبول.

خامسًا: رمزية العدد

«العدد» في هذه الرؤيا من أعجب الرموز وأدقها، فقد ورد لفظ سبع أربع مرات في آية واحدة، فكان التكرار مقصودًا ليثبت أن الرؤيا تتعلق بالزمن، وأن المراد سبع سنين رخاء تعقبها سبع شداد.

وقياسًا على ذلك: العدد في الرؤيا إذا تكرر دلّ على تحديدٍ في الزمان أو في المرات أو في الأحداث، ويُفسّر بحسب نوع الرمز وعدد تكراره.



سادساً: رمزية الملك

«الملك» في الرؤيا رمزٌ للسلطة والتدبير والحكم، وقد رأى هذه الرؤيا بنفسه لأنها تتعلق بأمر مملكته ومعاش شعبه. فدلّ ذلك على أن الرؤيا قد تأتي للعظيم تنبيهاً على ما يخص أمته ورعيته، كما تأتي للفرد بما يخص شأنه. وقياساً على ذلك: «من رأى أنه ملك أو نال مخاطبة من ملك»، نال رفعةً أو مسؤولية، على قدر صدقه وعدله، فإن كان صالحاً فهي ولاية حق، وإن كان فاسداً فهي فتنة أو اختبار.

سابعاً: رمزية التدبير والادخار

من أعجب ما في تأويل يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - أنه لم يقف عند بيان الرموز، بل تجاوزها إلى الحكمة العملية التي تليها، فقال: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾.

فكانت رؤياه وحياً في تدبير الأرزاق والأزمان. وقياساً على ذلك: «من رأى ما يدل على الجفاف أو الندرة»، فليأخذ بالأسباب، وليحسن التدبير قبل نزول البلاء، فالرؤيا تنبه المؤمن على مواضع الحذر، كما تبشره بالخير.

القياس في رموز رؤيا الملك

لقد قام تعبير يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - على منهج علمي دقيق في القياس



والتأويل، إذ قاس «البقر» بالسنين لاشتراكهما في العمل والزرع، وقاس «السمان» بالخصب، و«العجاف» بالجذب، و«السنابل» الخضر بالوفرة، و«اليابسات» بالقحط، والأكل بالذهاب بالنعمة، فجمع بين الرموز في تناسبٍ محكمٍ لا يقدر عليه إلا من أُوتي علم التأويل.

فهذا من تمام فقهه وإلهامه، إذ نظر في جوهر الأشياء لا في ظواهرها، وربط بين الصورة المنامية والمعنى الواقعي، حتى صار تعبيره علمًا قائمًا على القياس الصحيح، لا على الحدس ولا التخمين.

ومن أراد أن يسير على نهج يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -، فليجمع بين العلم والفراسة، والفهم والسياق، وليزن كل رمزٍ بميزان الحكمة الشرعية والسنن الكونية، فإن التعبير الصحيح فرعٌ عن الفقه، لا عن الوهم والخيال.



الخاتمة

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وفتح لعباده من خزائن علم الغيب ما شاء بحكمته وعدله، وجعل الرؤيا الصالحة جزءاً من النبوة، وباباً من أبواب البشارة والإنذار، ومجالاً للإلهام أوليائه الصادقين، يهتدون به في ظلمات الحياة كما يهتدي المسافر بالنجوم في الليل البهيم.

لقد تبين في هذا الكتاب -من خلال تدبر قصة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - أن علم التعبير علماً ربانيّ يقوم على الفقه والفراصة، لا على التخمين والظنون.

وأن الرؤيا في جوهرها رسالةٌ رمزيةٌ تحتاج إلى بصيرةٍ تقيس صور المنام على سنن الشرع والواقع، كما فعل يوسف الصديق حين أول الرؤى الثلاث:

فروياه الأولى كانت بشارةً اجتباءٍ ورفعة.

ورؤيا السجينين كانت تمييزاً بين حياةٍ وموت.

ورؤيا الملك كانت إنذاراً للأمة وتدييراً لمصيرها.

فجاء تأويله جامعاً بين البيان والحكمة، بين الفهم والإلهام، فصار إمام المعبرين في كل زمان.





ومن تأمل منهجه - عَلَيْهِ السَّلَام - وجد أنه قائم على ثلاثة أصولٍ عظيمة:

القياس الصحيح بين الرمز ومعناه، إذ يقيس البقر بالسنين،
والنجوم بالإخوة، والطير بالآجال.

القرائن والسياق، فلا يفصل الرمز عن حال الرائي ولا عن زمان
الرؤيا ومكانها.

الفهم الربانيّ الذي ينير القلب بنور الإيمان، فيرى العابر الحقائق
ببصيرة لا ببصرٍ.

وبذلك يتبين أن التعبير الصحيح ليس تكلفاً ولا تكهنًا، بل هو علمٌ له
أصولٌ من الوحي، ومعالمٌ من الفطرة، وضوابطٌ من الشرع والعقل.

فمن جمعها فقد ورث من يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - ميراثاً نبوياً كريماً.
فليكن هذا الكتاب تذكرةً للعابرين، وبصيرةً للمتأملين، ودعوةً إلى أن
نزن الرؤى بميزان العلم والإيمان، لا بميزان الهوى والخيال، فإن الرؤيا
الصالحة لا تُكرم إلا بصدق التأويل كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا
تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من علم يوسف فهماً، ومن صبره ثباتاً، ومن
توفيقه نصيباً، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه، نافعةً لعباده، ومقبولةً
يوم نلقاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



❖ - الرَّوضُ الْأَنْفُ - ❖ = فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالْتَّوَاتُلِ ❖

وكان الفراغ منه في الثاني والعشرين من جمادى الأولى لعام سبعة وأربعين وأربعمائة وألف من هجرة النبي ﷺ في دار الحديث السلفية بشحوح - مسجد إبراهيم - سيئون - محافظة حضرموت الوادي





الفهرس

٤ مقدمة الكتاب

٧ منهجية الكتاب

١٠ الباب الأول: الفوائد المستفادة من قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة يوسف: ٤] ١٠

الفائدة الأولى: دلالة الآية على أن نبي الله يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - كان

مفسرًا للرؤيا ١١

مسألة: قد يقول قائل: إن سياق الآية لا يدل صراحةً على أن يعقوب كان

مفسرًا للرؤى، وإنما حكم عليها حكمًا عامًا من حيث بشارتها بالخير

ووضوح إشارتها إلى الرفعة دون علم بتفصيل التأويل ١٢

تنبيه على حديث ورد في هذا الصدد: ١٢

الفائدة الثالثة: أن الرؤيا المنامية ليست على حقيقتها، بل رموزٌ لمعانٍ

أخرى ١٣



- الفائدة الرابعة: أن قِصَرَ الرُّؤْيَا لا يمنع قوتها ووضوح معناها ١٥
- الحالة الأولى: ١٥
- الحالة الثانية: ١٥
- الحالة الثالثة: ١٥
- الفائدة الخامسة: أن الرُّؤْيَا المُرْتَبَةِ في سياقها أدعى لصحة التَّأْوِيلِ ... ١٦
- الفائدة السادسة: أن بعض الرُّؤْيَى القوية لا تحتاج إلى استفصال ١٦
- الفائدة السابعة: أن رُّؤْيَا الأنبياء وحيٌّ وحقٌّ لا يحتمل الخطأ، بخلاف رُّؤْيَى غيرهم ١٧
- مسألة أولى: رُّؤْيَى الأنبياء وحي، فهل هي على ظاهرها؟ أم تحتاج إلى تعبير؟ ١٩
- القسم الأول: ٢٠
- القسم الثاني: ٢٠
- الأمثلة: ٢٠
- مثال أول من الرُّؤْيَى الظاهرة: ٢٠
- أَحَدُهَا: ٢٠
- الثَّانِي: ٢١
- الثَّالِثُ: ٢١



- مثال ثاني من الرؤى الظاهرة: ٢٢
- وفي هذا الحديث من الفوائد: ٢٤
- الفائدة الأولى: ٢٤
- الفائدة الثانية: أن الرؤيا قد تكون فرجا من الله، يكشف فيها مسببات علاج ذلك المبتلى ٢٤
- ومن الرؤى الظاهرة ٢٤
- مسألة ثانية: هل رؤى الأنبياء يخالطها أضغاث أحلام وحديث النفس وما كان من الشيطان؟ ٢٥
- فمنها ٢٥
- ومنها ٢٥
- ومنها ٢٥
- ومنها ٢٥
- مسألة ثالثة: لماذا رؤيا الأنبياء لا يداخلها أضغاث الأحلام ولا ما كان من الشيطان ولا حديث النفس؟ ٢٦
- الفائدة الثامنة: أن الرؤيا الصادقة قد تكون بشارةً عظيمةً لمستقبل بعيد. ٢٧
- الفائدة التاسعة: أن الرؤيا الصادقة تُربي في القلب الإيمان بوعد الله. ٢٧



الفائدة العاشرة: أن الرؤيا قد تكون سبباً في الرفعة والتمكين. ٢٧

الخلاصة..... ٢٩

الفائدة الحادية عشرة: أن من تمام فضل الله أن يجعل الرؤيا الصالحة من

مقدمات النبوة..... ٢٩

الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا الصادقة من الله، وهي بشرى لعباده

المؤمنين..... ٣٠

الفائدة الثالثة عشرة: أن الرؤيا الصادقة قد تورث الفرح أو الحزن بحسب

مضمونها..... ٣٠

الفائدة الرابعة عشرة: أن من الحكمة كتمان الرؤيا عن من يُخشى حسده

أو بغضه..... ٣١

مسألة: قد يقول قائل: كيف يحسدني، ويحقد عليّ، وهو لا يحسن تفسير

الأحلام؟!..... ٣٢

الفائدة الخامسة عشرة: أن الرؤيا الصالحة قد تُنبئ عن مجدٍ وشرفٍ

مستقبليٍّ للرائي..... ٣٣

الفائدة السادسة عشرة: أن المفسر الحاذق يربط بين الرموز والمعاني

الواقعية..... ٣٤

الفائدة السابعة عشرة: أن التعبير قد يُستدل فيه بالأعداد والأشكال كما

يُستدل بالأسماء والهيئات..... ٣٤



- الفائدة الثامنة عشرة: أن الرؤيا الصادقة لا تتناقض مع سنن الله في الأسباب..... ٣٤
- الفائدة التاسعة عشرة: أن الرؤيا لا يفهم تأويلها إلا بعد تمام وقوعها أحياناً..... ٣٥
- الفائدة العشرون: أن الرؤيا الصالحة من أعظم وسائل التربية الإيمانية..... ٣٥
- الفائدة الحادية والعشرون: في صفات المعبر وآداب التعبير..... ٣٥
- الفائدة الثانية والعشرون: تحري الرأي لمن يعبر له رؤياه..... ٣٨
- أولاً:..... ٣٨
- ثانياً:..... ٣٨
- ثالثاً:..... ٤٠
- الفائدة الثالثة والعشرون: أن الرؤيا الصالحة قد تكون سبباً لتعليم المعبر علم التعبير..... ٤٠
- الفائدة الرابعة والعشرون: فضل علم التعبير ومكانته في الشريعة ٤٢
- الفائدة الخامسة والعشرون: أدب الرأي مع المعبر في الاكتفاء بالتعبير دون التكلف في السؤال عن رموزه..... ٤٥
- الفائدة السادسة والعشرون: النهي عن التحدث بالرؤيا لمن لا يحسن،



هل هو نهي تحريم أم نهي تنزيه؟ ٤٧

مسألة: هل من لم يفسر رؤياه وأحجم عن قصها هل يقع تفسيرها؟ . ٥٠

تنبيه: ٥١

والخلاصة ٥١

الفائدة السابعة والعشرون: أن الرؤيا قد تكون سبباً للفتنة إذا أسيء

التعامل معها أو فسرت بغير علم ٥٢

الفائدة الثامنة والعشرون: أن المفسر للرؤيا يحمل الرؤيا على محملها

الصحيح، ولا يتعجل في كشف العدو أو تعيينه ٥٤

الأول: ٥٤

الثاني: ٥٤

الثالث: ٥٤

الفائدة التاسعة والعشرون: أن المفسر قد يُلهمه الله التأويل الصحيح بلا

تكلف، فالتعبير علم وهبة ربانية ٥٧

مسألة هل تعبير الأحلام من قبيل الإلهام وهل يمكن أن يكون بغير

مستند؟ ٥٨

أحدهما: ٥٩

فوالخلاصة: ٦١



- ٦١ فائدة في معنى الفراسة في تفسير الأحلام:
- ٦٢ أَحَدُهُمَا:
- ٦٢ وَالثَّانِي:
- ٦٥ الخلاصة:
- ٦٥ الفائدة الثلاثون: علم تفسير الرؤيا يختص الله به من يشاء.....
- ٦٥ الفائدة الحادية والثلاثون: أن علم التعبير مرتبط بالتقوى وصلاح القلب
- ٦٧
- ٦٨ الفائدة الثانية والثلاثون: علم الرؤيا يُكتسب بالممارسة والتعلُّم
- ٦٨ الفائدة الثالثة والثلاثون: وجوب تركية المعبر لنفسه وحفظه لنعمة
- ٧٠ التعبير.....
- ٧٢ الفائدة الرابعة والثلاثون: نسبة الفضل في علم التعبير إلى الله تعالى لا
- ٧٢ إلى النفس.....
- ٧٤ الفائدة الخامسة والثلاثون: صفاء القلب شرط في صفاء التعبير
- ٧٤ الفائدة السادسة والثلاثون: خطأ المعبر في التأويل لا يبطل علمه ولا
- ٧٥ يسقط عدالته.....
- ٧٧ الفائدة السابعة والثلاثون: علم التعبير لا يُؤخذ إلا عن أهل الصدق
- ٧٧ والدين.....



❖ - الرَّوضُ الْأَنْفُ = ❖ ١٤٠ ❖ = فَوَائِدُ الْوَقْتِ وَالْتَّوَلُّيْلِ ❖

الفائدة الثامنة والثلاثون: علم التعبير نعمة ومسؤولية، ومن لم يشكرها عوقب بحرمانها..... ٧٨

الفائدة التاسعة والثلاثون: هل تعبير الرؤيا مبني على غلبة الظن؟ ... ٧٩

الفائدة الأربعون: التعبير علمٌ واجتهادٌ لا وحيٌّ ولا كهانة..... ٨١

الباب الثاني رموز رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وتعابيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح ٨٤

أولاً: رمزية الكواكب..... ٨٤

ثانياً: رمزية الشمس ٨٥

ثالثاً: رمزية القمر..... ٨٥

رابعاً: رمزية السجود..... ٨٦

خامساً: رمزية العدد..... ٨٦

سادساً: رمزية النور ٨٦

سابعاً: رمزية النجوم وقياسها في الهداية ٨٧

القياس في رموز رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ٨٨

الباب الثالث: الفوائد المستفادة من قوله تعالى ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ [يوسف: ٣٦]



.....[٣٦] ٨٩

الفائدة الأولى: أن الإحسان سببٌ لقبول القول والثقة في التعبير ٩٠

الفائدة الثانية: أن الرؤيا لا تُقَصَّ إلا لمن يحسن تأويلها ٩١

الفائدة الثالثة: أن الرؤيا الصادقة قد تقع في الشدائد كما تقع في الرخاء

..... ٩٢

الفائدة الرابعة: أن المعبر الداعية يقدم التوحيد على التأويل ٩٢

الفائدة الخامسة: أن صدق التعبير من دلائل النبوة وكرامة لأولياء الله ٩٣

الفائدة السادسة: أن اختلاف الرؤى دليلٌ على تنوع القضاء والقدر . ٩٣

الفائدة السابعة: أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان مهاباً حتى في السجن .. ٩٤

الفائدة الثامنة: أن المعبر قد يُقدَّم للناس من خلال عمله لا منصبه .. ٩٤

الفائدة التاسعة: أن وقوع الرؤيا تابعٌ لصحة تأويلها ٩٤

الفائدة العاشرة: أن الرؤيا قد تكون سبباً في تمييز الصادق من الكاذب

..... ٩٥

الفائدة الحادية عشرة: أن تأخير تحقق بعض الرؤى لا يعني بطلانها ٩٥

الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا قد تكون سبباً في رفع البلاء وتمييز أهل

الخير ٩٥

الفائدة الثالثة عشرة: أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يستغل حاجتهم إليه في



الدنيا، بل دعاهم إلى الله ٩٦

الفائدة الرابعة عشرة: أن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان مخلصاً في الدعوة

حتى مع العصاة ٩٦

الفائدة الخامسة عشرة: أن الإنسان إذا نُسي في الأرض فربه لا ينساه ٩٧

الفائدة السادسة عشرة: أن النسيان قد يكون من قدر الله لحكمة خفية ٩٧

الفائدة السابعة عشرة: أن الله يمتحن أوليائه قبل الفرج ليُظهر صدقهم

وصبرهم ٩٧

الفائدة الثامنة عشرة: أن الدعوة إلى الله واجبة في كل حال ٩٨

الفائدة التاسعة عشرة: أن من صدق مع الله جعله الله سبباً لهداية غيره ٩٨

الفائدة العشرون: أن الله يكتب الفرج لعباده بأسباب لا تخطر ببال .. ٩٨

الباب الرابع رموز رؤيا السجينين وتعبيرها على منهج القياس والتأويل

الصحيح ١٠٠

أولاً: رمزية العصر والخمر ١٠٠

تنبيه لكل معبر ١٠٢

قاعدة في تأويل المحرّمات ١٠٢

ثانياً: رمزية الخبز ١٠٣

ثالثاً: رمزية الرأس ١٠٤





رابعًا: رمزية الطير..... ١٠٤

خامسًا: رمزية السجن والنجاة..... ١٠٥

سادسًا: رمزية السقاية والملك..... ١٠٥

القياس في رموز رؤيا السجينين..... ١٠٦

الباب الخامس: الفوائد المستفادة من قوله تعالى: ١٠٨

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٣]..... ١٠٨

الفائدة الأولى: أن الرؤيا الصادقة قد تكون سببًا في نفع الأمم كلها. ١٠٨

الفائدة الثانية: أن الله يُجري الخير على لسان من يشاء ولو كان كافرًا

..... ١٠٩

الفائدة الثالثة: أن الرؤيا الصادقة قد تكون إنذارًا مبكرًا من الله لعباده

..... ١١٠

الفائدة الرابعة: أن علم التعبير منحة ربانية لا تنال بالحيلة..... ١١٠

الفائدة الخامسة: أن الله يُظهر عباده المخلصين في الوقت الذي يشاء

..... ١١١

الفائدة السادسة: أن الله يُمهّد للفرج بأسبابٍ لا تخطر على بال ١١١



- الفائدة السابعة: أن التمكين ثمرة العلم والإخلاص والصبر ١١٢
- الفائدة الثامنة: أن الإخلاص والعفاف يرفعان العبد فوق الملوك .. ١١٣
- الفائدة التاسعة: أن الله يُظهر أوليائه في الوقت الذي يشاء ١١٣
- الفائدة العاشرة: أن الله يُجري المقادير بحكمةٍ دقيقةٍ لا يراها العبد. ١١٤
- الفائدة الحادية عشرة: أن الله يُعزّ من يشاء بأضعف الأسباب ١١٤
- الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا الصادقة باب من أبواب الفتح الرباني ١١٤
- الفائدة الثالثة عشرة: أن التدبير الصالح نعمةٌ عظيمةٌ من الله ١١٥
- الفائدة الرابعة عشرة: أن العلم الراسخ يُثمر العمل النافع ١١٥
- الفائدة الخامسة عشرة: أن الصدق والإتقان يفتحان القلوب المغلقة ١١٦
- الفائدة السادسة عشرة: أن التمكين نعمةٌ تُطلب لشكر الله لا للدنيا. ١١٦
- الفائدة السابعة عشرة: أن الرؤيا لا تقع عند أول عابر إذا لم يُصب في تأويلها ١١٧
- الفائدة الثامنة عشرة: أن تعبير الرؤيا فتوى ١١٩
- الفائدة السابعة عشرة: أن علم التعبير لا يُؤخذ بالتجربة المجردة، بل بالفقه في الدين ١٢٢
- الخلاصة ١٢٤



الباب السادس: رموز رؤيا الملك وتعبيرها على منهج القياس والتأويل
الصحيح..... ١٢٥

أولاً: رمزية البقر..... ١٢٥

ثانياً: رمزية الأكل..... ١٢٦

ثالثاً: رمزية السنابل..... ١٢٦

رابعاً: رمزية الخُضرة واليبس..... ١٢٧

خامساً: رمزية العدد..... ١٢٧

سادساً: رمزية الملك..... ١٢٨

سابعاً: رمزية التدبير والادخار..... ١٢٨

القياس في رموز رؤيا الملك..... ١٢٨

الخاتمة..... ١٣٠

الفهرس..... ١٣٣

تلخيص الفوائد..... ١٤٦



تلخيص الفوائد

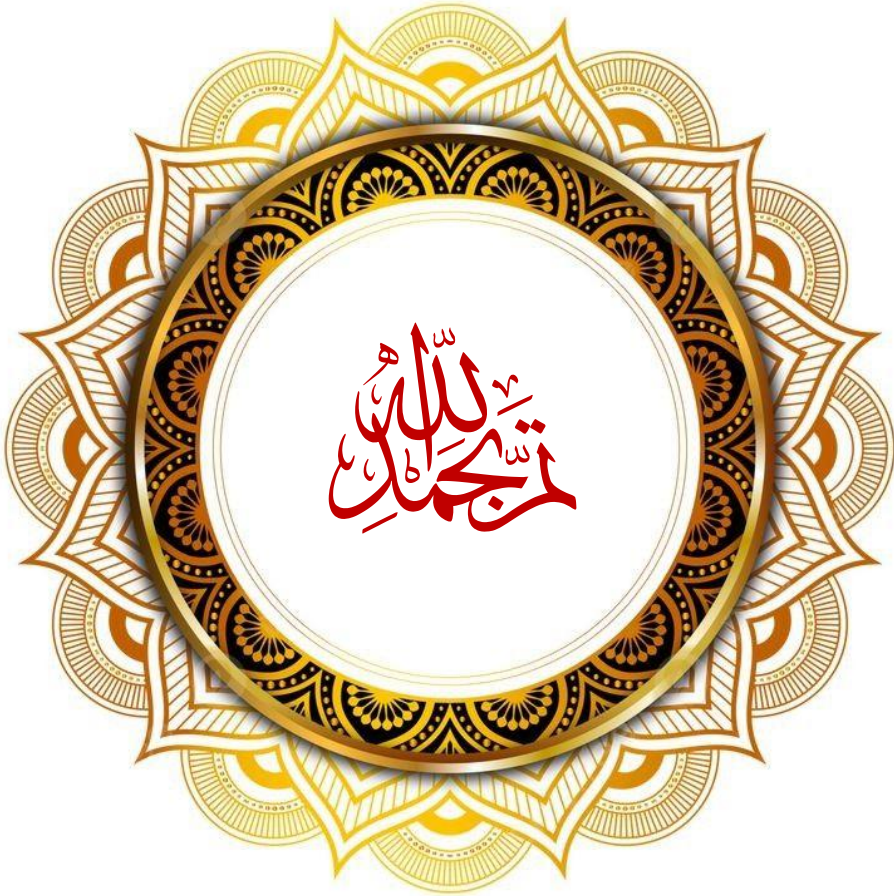
[illegible]



[illegible]

[illegible]

[illegible]



صدر حديثاً للمؤلف



عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
 +٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
 عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدى
 +٩٦٧ ٧٧٧٠١٢٥٢٢
 حضرموت الحامي - جوار مسجد انور - الشارع الشرقي من النادي
 +٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
 حضرموت سيلون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شحوح للبنين
 +٩٦٧ ٧٨٣٢٤٦٥١٣
 alshafibooks@gmail.com

دار الإمام الشافعي
 للطباعة والنشر والتوزيع
 اليمن - عدن